ضاحيتا القاهرة : سرياقوس[1] والبركة[2] في عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

الدكتور / يسري أحمد عبد اللّه زيدان

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تمهيد: مثلت ضواحي القاهرة في عصر سلاطين المماليك أهمية سياسية واقتصادية واجتماعية للدولة المملوكية، وشهدت هذه الضواحي نشاطًا دينيًا وعلمًا واسعًا، وحياة متكاملة، وبلغت هذه الضواحي إحدى وثلاثين ضاحية[3]، ظهرت مع اتساع القاهرة وزيادة العمران حولها، وامتدادها نحو الشمال بصفة

(١) سرياقوس من القرى القديمة بمصر، وهي الآن من قرى مركز الخانكة بمحافظة القليوبية، وتقع على الشاطئ الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة، وعلى بعد ١٨ كيلو مترًا منها. راجع ياقوت: معجم البلدان، دار صادر- بيروت، جـ٣ ص٢١٨ . وابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - بيروت ج٢ ص٤٩ . والمقريزي: الخطط، طبعة بولاق جـ٢ ص١٤٤-١٤٥، وص ١٩٨ . وراجع محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، القسم الثاني، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب ص ٣٥ .

(٢) بركة الحجاج أو بركة الحاج أو بركب الجب أو البركة أسماء لمكان يقع بالشمال الشرقي من القاهرة، وعرف أولاً بجب عميرة نسبة إلى عميرة بن تميم التجيبي صاحب الجب المعروف بجب عميرة، وعرفت ببركة الحجاج لنزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم وهي الآن شرقي محطة المرج وقريبة منها، كما أنها قريبة من سرياقوس. راجع ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٢ ص٤٣، والمقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٢-١٦٣ . وكانت معروفة في زمن الأيوبيين ببركة الجب وببركة الحاج. راجع المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية جـ١ قسم ١ ص٦٥، و٨٧، و٨٨ و١٣٣، وجـ١ قسم ٢ ص٢٩٩ و٣٠١، وعرفت بهذه الأسماء في العصر المملوكي، وإن كان غلب عليها اسم بركة الحاج أو الحجاج، ووردت سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م باسم بركة الجب وبالبركة، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت جـ٨ ص١٩٧ . وراجع أيضًا اسم البركة سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م ابن تغري بردي: المصدر السابق جـ١٠ ص١٨٠.

(٣) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٢ ص٤٣ .

خاصة[١]، وصار ما هو خارج سورها أضعاف ما هو داخله[٢]. ومن هذه الضواحي: الأميرية[٣]، والمطرية[٤]، والمرج[٥]، والخصوص[٦] . وشبرا الخيام (الخيمة)[٧]،

(١) أقدم أحياء القاهرة يقع في الجنوب وأحدثها في الشمال، وجاء ذلك لأن القاهرة كانت تنمو بصفة خاصة نحو الشمال، حيث كانت الظروف الطبيعية ملائمة، فالأرض رملية منبسطة تسمح بامتداد على اتساع، كما أنه لم يكن الامتداد نحو الشرق بسبب تلال المقطم، ولا نحو الغرب بسبب نهر النيل، وكان الامتداد نحو الغرب بقدر ما كان يتركه مجرى نهر النيل من أرض نتيجة انحرافه نحو الغرب، ولقد انحرف فعلاً النيل نحو الغرب منذ عهد عمرو بن العاص حتى الآن بمقدار المسافة بين جامع عمرو الذي كان عند إنشائه على شاطئ النيل وبين مجراه الحالي، أي حوالي خمسمائة متر. كما كان الامتداد نحو الجنوب سيقتصر على شريط ضيق يمتد على طول نهر النيل، ولا يسمح بتخطيط مدينة متسعة. حسن الباشا: القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مؤسسة الأهرام، ص ٤١-٤٢ .

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر جـ٣ ص٣٥١، وراجع حتى ص ٣٥٧ للوقوف على امتداد القاهرة، وراجع في ذلك المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٢٨ - ١٤٥ .

(٣) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ٤٥، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم ١ ص٢٦٢ وجـ٣ قسم ١ بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ص١٢ .

(٤) عثمان النابلسي: لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، مكتبة الثقافة المصرية ص ٤٨، وابن دقماق: المصدر السابق جـ٢ ص٤٣ و ٤٤ ، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٣ تحقيق: محمد مصطفى زيادة ص ٧١٨و ٧٨٦، وجـ٣ قسم ١ ص١٢، والخطط جـ١ ص٢٢٨، والمقفى الكبير تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان جـ٢ ص٢٩٥، وابن تغري بردي: حوادث الدهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، جـ١ ص٢٩٦ ، وابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب جـ١ ص٥٥ . وذكر ابن دقماق: الانتصار جـ٢ ص٤٣ أن المطرية عرفت أيضًا بمدينة عين شمس.

(٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، نشر قسطنطين زريق، جـ٩ ص ٨١، وابن دقماق: الانتصار جـ٢ ص٤٨، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص١٥٣ ، وابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي جـ٣، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٣٠٤ .

(٦) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٣٦٤، وابن دقماق: الانتصار جـ٢ ص٤٤ . والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٣ ص٧١٨، و٧٨٦، والمقفى جـ٢ ص٢٩٥ . وعن هذه القرية التابعة لمحافظة القليوبية حاليًا، راجع: محمد رمزي: القاموس الجغرافي قسم ٢ جـ١ ص ٣٣ .

(٧) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ٢ ص٤٧ ، والمقريزي: الخطط جـ١ ص٦٨، والمقفى جـ٢ ص٥٤٠، والسلوك جـ٣ قسم١ ص١٢، وجـ٣ قسم ٣ ص١٠٣، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص٣٨٢، وابن إياس: بدائع الزهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ١ قسم٢ ص٥٩٤ . وعنها وعن بعض أحيائها زمن المماليك راجع محمد رمزي: القاموس الجغرافي قسم ٢ جـ١ ص ١٢ - ١٣ و ص٣٤ - ٣٥ .

وبهتيت[1]، وبلقس[2]، وكوم الريش[3]، وإنبابة[4] . وأهم ضاحيتان من ضواحي القاهرة في عصر سلاطين المماليك هما: سِرياقوس والبِركة، الواقعتان بالشمال الشرقي منها، واللتان قامتا بدور مهم اقتصاديًا واجتماعيًا، واللتان شهدتا اهتمامًا كبيرًا من السلطة المملوكية، أثمر عن ظهورهما بقوة دون ضواحي القاهرة الأخرى، وعن مساهمتهما في الحياة العامة بمصر خلال عصر المماليك. واختصت سرياقوس بمؤلف للمؤرخ سبط عبدالظاهر، ناصر الدين شافع بن عليّ (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣١م) هو «الإعراب عما اشتمل عليه البناء الملكي الناصري بسرياقوس من الإغراب»[5] .

وواضح أن مصطلح (الضواحي) أطلق على القرى القريبة الواقعة خارج القاهرة والمتصلة بها، في حين أن القرى البعيدة عنها في الأقاليم المختلفة عُرفت بـ «الأرياف»[6] . واتسع هذا المصالح أحيانًا ليشمل قرى بعيدة عن القاهرة،

---

(١) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان جـ٢ ص٢٩٦، وذكرها (بهتيم) في حين أن ابن دقماق: السابق ص٤٥، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص ٧٨٦ ذكراها (بهتين)، وذكرها المقريزي في الخطط جـ١ ص١٠٩، جـ٢ ص١٢٨ بـ (بهتين). ولا أوافق الأستاذ محمد رمزي في أن اسمها عُرف ببهتيم في العصر العثماني؛ لأن ابن الجزري ذكرها بهذا الاسم في بداية القرن الثامن الهجري. راجع القاموس الجغرافي جـ١ قسم٢ ص١٢ .

(٢) ابن دقماق: السابق ص٤٥، والمقريزي: السلوك جـ٤ ص ٣٨١ .

(٣) المقريزي: الخطط ج٢ ص١٣٠، والسخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: لبيبة مصطفى، ونجوى كامل، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة جـ٢ ص١١٧، ولم يرد تعريف لهذا المكان في الكتاب، في حين أن الأستاذ محمد رمزي في (القاموس الجغرافي) قسم ١ ص٣٩٣ - ٣٩٤ وقسم ٢ جـ١ ص١١ ذكر أنها الآن هي الزاوية الحمراء.

(٤) راجع المقريزي: الخطط جـ١ ص١٠٣ وسماها أيضًا منبوبة: السلوك جـ٣ قسم ٢ ص٥٧٦ ومنبابة: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٥٨٧، وص٨٩٤، وجـ٣ قسم٣ ص١٠٨٥، وجـ٤ قسم١ ص٦١، و٢٣٧، و٣٧٤، ٤٣٥، و٤٨٠، و٥٠٠، وجـ٤ قسم ٢ ص٦٣٨ . وهي إمبابة حاليًا، راجع محمد رمزي قسم ١ ص١٣١ - ١٣٢ وقسم ٢ جـ٣ ص٥٦ - ٥٧ .

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، باعتناء وداد القاضي، دار النشر فرانز شتاير جـ١٦ ص٨٠ . وكتاب سبط عبدالظاهر من الكتب الضائعة .

(٦) راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ج٢ ص٥٠٦، ومن الأرياف التي ذكرها: قليوب، والجيزة .

ومنها: «منية جنان» التي ذكـر ابن تغري بردي أنها قرية من أعمال الـشرقية من ضواحي القاهرة[1] .

فإطلاق مصطلح «ضـواحي القاهرة» على هذه القرية وأمثـالها إنما هو على سبيل التجاوز، أو ربما لقربها من قرى الضـواحي واتصالها بها وقيامها بدورٍ من أدوارها، وإلاَّ فهي من «الأرياف».

وبالرغم من أهمية ضواحي القاهرة في عصر سلاطين المماليك، إلاَّ أنها لم تحظ باهتمام الدارسين، ولم تنل عنايتـهم البحثية، واقتصـر الاهتمام - فقط - على القاهرة[2] .

كمـا أنَّ هذه الضواحي لم تستـرع انتباه الرحالـة المسلمين والأجانب الذين زاروا مـصر في عـصر سـلاطين المماليك ومنهم: ابن فـضل الله العمـري[3] (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، وابـن بطـوطة[4] (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، وإيمـانويـل

---

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمـد محمد أمين، الهيئـة المصرية العامة للكتاب جـ٦ ص٦٢ . وقد ذهب محمد رمزي في القاموس الجغرافي القسم الثاني، الجزء الثاني ص ١٣٥ إلى أن منية الجنان قرية قديمة من أعمال الغربيـة. وأقول: لعل هناك قريتين بهذا الاسم، إحداها من أعمال الشرقية، والأخرى من أعمال الغربية. هذا ولم يرد ذكر هذه القرية أبدًا لدى ابن دقماق في كتابه «الانتصار لواسطة عقد الأمصار».

(٢) عقـدت ندوة دولية لتاريخ القاهـرة بها سنة ١٩٦٩، ونشرت أبحاث الـندوة في ثلاثة أجزاء عن دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٠م، ولـم تتضمن هذه الأبحـاث بحثًا واحـدًا عن ضواحي القـاهرة، أو إشارة إلى هذه الضواحي. كذلك لم يتضمن كتاب «القاهرة: تاريخـها- فنونها- آثارها» الذي أعده مجموعة من الأساتذة وصدر عن مؤسسة الأهرام مقالاً أو بحثًا عن ضـواحي القاهرة. وبالمثل كان كتاب «القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة» لفولكف، ترجـمة أحمد صليحـة، الهيئة المصرية العـامة للكتاب، وكتاب «القـاهرة تاريخ حاضرة» لأندريه ريمون، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، حيث لم يتناولا أية ضاحية من ضواحي القاهرة .

(٣) صاحب «مـسالك الأبصار في ممالك الأمصار» الذي ألفه سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م راجع «دولة المماليك الأولى» تحقيق دُورونيا كرافولـكي، المركز الإسلامي للبحوث، ص ١٢٨ .

(٤) صاحب «رحلة ابن بطوطـة»، وزار ابن بطوطة مصر في عـهد الملك الناصر مـحمد بن قـلاوون في ولايته الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) راجع رحلة ابن بطوطة، طبعة دار صادر - بيروت ص ٤٣ .

بيلوتي الكريتي[١]، وطافور[٢] . وحظيت ضاحية المطرية - فقط- باهتمام العمري[٣]، وبيلوتي[٤]، وطافور[٥] فذكروا ما اختصت به من شجر البَلسَان[٦]، الذي تفخر به مصر على سائر البلاد، ويطلبه ملوك الفرنج لإتمام عقيدة التنصير. بينما ذكر ابن بطوطة خبرين عن سرياقوس: أولهما خاص بالخانقاه[٧] التي بناها الناصر محمد قلاوون بها سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، وثانيهما وأخيرهما فمتصل بأحد كبار شيوخ القراء بمصر الذي كان يسكن سرياقوس[٨] .

---

(١) زار مصر سنة ٨٢٣ / ١٤٢٠م في سلطنة المؤيد شيخ (٨١٥- ٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)، وعن هذه الرحلة التي ترجمها Dopp راجع: **Dopp: L'Egypte Au Commencement Du Quinzieme Siecle . pp. 3-11.**
حيث ذكر أهمية القاهرة وموقعها وتأثير النيل على مزاج سكانها، وتناول منتجاتها الزراعية وتجاراتها ووصف القاهرة وصفًا مفصلاً في آخر هذه الصفحات .

(٢) زار طافور مصر في أثناء حكم السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م). ووصف القاهرة في رحلته التي ترجمها حسن حبشي (رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي) دار المعارف بمصر ص ٦٤-٧٤ .

(٣) العمري: مسالك الأبصار، دولة المماليك الأولى ص ١٢٨-١٢٩، وراجع ص ٨٠ .

(٤) **Dopp: L' Egypte Au Commencement Du Quinzieme Siecle . pp. 27-30.**

(٥) طافور: رحلة طافور ص ٧٠ - ٧١ .

(٦) شجر البلسان، شجر قصار بالمطرية، يُسْقَى من بئر هناك، يعتقد النصارى أن المسيح اغتسل فيها، ولذا يعظمونها ويغتسلون فيها، ويستسقون به، ولأن النصارى كانوا يعتقدون أنه لا يتم تنصير نصراني إلا بالغمس في ماء المعمودية الموضوع فيه دُهن البَلَسَان، فإنّ ملوكهم كانوا يشترونه بثقله ذهبًا، وكان الملك الكامل قد استأذن أباه العادل في زراعة شجر البلسان في الأرض المتصلة بأرضه، فأذن له. وحدث في سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م أن انقطعت زريعته من أرض المطرية، فقام السلطان الغوري بإحضار بلسان بري من بعض أماكن الحجاز وهو في طينه فزرعه بالمطرية في مكانه المشهور به، فنتج لما سقي من ماء تلك البئر هناك، وعدّ ذلك من محاسن الغوري. راجع فيما مضى ياقوت: معجم البلدان، دار صادر - بيروت جـ٥ ص ١٤٨ - ١٤٩، والقلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي جـ٣ ص٢٨٣، والمقريزي: الخطط جـ١ ص٢٧، والسيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية جـ٢ ص٣٢٩، وابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ٤ ص١٤٩ .

(٧) سيأتي الحديث مفصلاً عن هذه الخانقاه في موضعه من هذا البحث، وأشير هنا إلى أن ابن بطوطة وصفها بـ «زاوية عظيمة» وذكر أنها بسرياقص. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص٤٣ . وانفرد - دون المؤرخين جميعًا - بهذا النطق وتلك الكتابة، وهي بلاشك خاطئة .

(٨) سيأتي الحديث عن العلماء بسرياقوس في مكانه من هذا البحث، والعالم الذي ذكره ابن بطوطة هو: شيخ شيوخ القراء بمصر مجد الدين الأقصرائي الرومي. رحلة ابن بطوطة ص ٤٦ .

وبعد.. فهذه دراسة عن ضاحيتين من ضـواحي القاهرة، ستتبعها دراسات وبحوث أخرى عن باقي الضواحي في عصر سلاطين المماليك.

أولاً: الأهمية السياسية والأمنية والدينية لسرياقوس والبركة:

حظيت منطقة سرياقوس والبركة بأهمية استراتيجية خاصة؛ تمثلت في كونها أول منازل طريق الشام والحـجاز وغيـرهما[1]، فشكلتـا حلقة وصل بين مـصر والشام والحجـاز بصفة خاصة، وعندهما التـقى السلاطين بنظرائهم من الملوك، وبنواب الشام وغيرهم، وودعوهم من هناك، وتمّ تفـتيش من أريد تفتيشهم من المسافرين إلى الشام أو الحجاز وما بعدهما، وأخذت بعض الأموال من المسافرين من مصر إلى البـلاد السابقة جبـاية، وكانت سرياقوس والبركـة آخر مكان يمكن للسلطان عندهمـا أن يتراجع عن رأي أخذه بنفي بعض الأمـراء أو المماليك من مصر إلى بلاد الشام أو غيرها.

وممن اجـتاز بركـة الحاج في طريقـه لبلاد الشـام: الملك الظاهر بيـبرس[2] (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م وابنه السعـيد بركة[3]

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن صلاح الدين الأيوبي كـان قد نزل بركة الحج سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م في طريقه إلى الشام، وكـذلك في سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، وخرج منها العـادل الأيوبي إلى الكرك سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م ورحل منها العزيز وعمه العادل بجيوشهما لملاقاة صاحب دمشق الأفضل أخي العزيز سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م في أثناء الصراع بين البيت الأيوبي علـى الحكم في مصر والشام، راجع فيمـا سبق المقريزي: السلوك جـ١ قـسم ١ ص٥٨، و٦٥و ٨٧ و ٨٨ و٩٣ و١٣٣ . وراجع أخـبـار أخـرى ص ١٤٨، و١٥١ و١٦٤ وجـ١ قـسم٢ ص٢٩٩ و٣٠١ . وهذا يبين دور بركة الحجاج زمن الأيوبيين .

(٢) ابن شاكـر الكتبي: عيون التـواريخ، تحقيق فـيصل السامر ونبـيلة داود، دار الرشيد للنشـر، بغداد، جـ٢٠ ص٣٥٩ - ٣٦٠، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص١٩ .

(٣) ابن شاكر الكتـبي: السابق جـ٢١ ص٢٢٣ . ويذكر هنا أن الملك السعيد ولد بإحـدى ضواحي القاهرة سنة ٦٥٨هـ (وقيل: سنة ٦٥٧هـ)، وهي العُش. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيـئة المصرية العامة للكتاب جـ٣١، تحقيق: الباز العريني ص٢٦ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حـسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ٧ ص٢٢٥ . وعن هذه الضاحية راجع ابن دقماق: الانتصـار جـ٢ ص٤٣ . وهي الآن قرية منية شبين المجاورة لشبين القناطر من أعمال القليوبية. محمد رمزي: القاموس الجغرافي جـ١ قسم٢ ص٣٧ .

(٦٧٦ - ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧ - ١٢٧٩م) سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م. وشهدت بركة الحاج سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م مرور الملك العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م) من مصر إلى البلاد الشامية بالعساكر الإسلامية، «وأقام بالبركة أيامًا»[١] . كما عبر جيش المماليك الغازي لسيس[٢] بركة الحجاج سنة ٦٩٨/ ١٢٩٨م بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش[٣] في طريق عودته إلى القاهرة[٤] .

وشهدت البركة سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م استقبالاً حافلاً للناصر محمد بن قلاوون بمناسبة عودته من الشام[٥] لتولي عرش الدولة المملوكية للمرة الثالثة، ومروره بها في أثناء عودته إلى مصر، وشارك في هذا الاستقبال كبار رجال الدولة المملوكية، والجند، وعامة الناس، وأنشد الشعراء مدائحهم بين يدي السلطان ببركة الحاج، وأقام بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليلة عيد الفطر، وصلى بها صلاة العيد، ثم غادرها في طريقه إلى القاهرة[٦] .

ولأن البركة وسرياقوس كانتا معبرًا رئيسيًا لبلاد الشام خلال هذه الفترة، فإن المؤرخ «ابن إياس» جعل هذا الاستقبال للناصر محمد بن قلاوون في

---

(١) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص٢١٢ .

(٢) سيس هي عاصمة أرمينية الصغرى التي قضى المماليك عليها سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م زمن الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ - ١٣٧٦م). راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ١ ص٢٣٧ - ٢٣٨ وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، حققه عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق جـ٣ ص٤٥٠، وابن تغري بردي: النجوم الزهرة جـ١١ ص٥٤ .

(٣) الأمير بكتاش بدر الدين هو مقدم العساكر المصرية زمن الناصر محمد بن قلاوون، وتوفي بكتاش سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. راجع المقريزي: السلوك جـ١ قسم٣ ص٩٢٢ و٩٤٩ وجـ٢ قسم١ ص١٧ و١٨ ، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٣٨٥-٣٨٦ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ١ قسم ٣ ص٨٦٧، والعيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ٣ ص٤٤١ .

(٥) كان الناصر محمد بن قلاوون قد خرج إلى الكرك سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م وعزل نفسه منيا عن السلطة، وقد شاهده المؤرخ ابن كثير وهو بدمشق في أثناء عودته إلى مصر، وتحدث عن موكبه العظيم. ابن كثير: البداية والنهاية، دار الغد العربي، المجلد السابع ص ٤٣٠ . ويذكر هنا أن خروج الناصر محمد بن قلاوون من مصر كان عبر بركة الحاج أيضًا. المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ١ ص٤٣ .

(٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٢، تحقيق: فيبم شلتوت، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ص١٥٧، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٧٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥-٦ .

«سرياقوس»[1] . وهذا بدون شك غير صحيح لمخالفته لغيره من المؤرخين المتقدمين عليه، ومنهم «النويري» المعاصر للأحداث في تلك الفترة.

وحدث سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م أن جرى توديع عند سرياقوس[2] للأمير أحمد ابن محمد بن قلاوون من قِبل والده السلطان محمد وعدد من الأمراء في طريق سفر الأمير إلى الكرك[3]، وبصحبته جملة من الأمتعة والأموال، وغير ذلك[4] .

وفي سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م أقام الناصر محمد بن قلاوون أسبوعًا بسرياقوس ومعه عدد كبير من الأمراء، ثم سار قاصدًا بلاد الحجاز، وشاهد المؤرخ صلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) بنفسه - وكان بسرياقوس- ما تمتع به ركب السلطان والأمراء، وبخاصة الأمير بَكْتَمر بن عبدالله الساقي[5]

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب، تحقيق: محمد مصطفى، جـ١ قسم١ ص٤٣١ .

(٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن صلة الدولة المملوكية لم تنقطع ببركة الحاج وسرياقوس خلال هذه المدة، بل كانت الصلة مستمرة، ولكني - هنا- أركز على أبرز ما شهدته هاتان الضاحيتان من أحداث سياسية باعتبارهما همزة وصل بين مصر والشام والحجاز. وراجع عن علاقة السلاطين والأمراء بسرياقوس والبركة خلال هذه الفترة، المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ١ ص١٧٧ و١٩٧ و٢٣٥ و٢٥١ .

(٣) الكرك اسم لقلعة حصينة جدًا في طرف الشام شرقي الأردن وهي على جبل عالٍ، وكانت الكرك إحدى نيابات السلطنة المملوكية، وكانت تبدأ من العقبة (أيلة) جنوبًا إلى بحيرة سدوم شمالاً. راجع ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص٤٥٣، والقلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي جـ٤ ص١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ٢ ص١٦١ . ويذكر هنا أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل ولديه إبراهيم وأبا بكر إلى الكرك أيضًا، فأقاموا هناك إلى «أن ترعرعوا» على حد قول ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٢ ص١٥٩، وراجع من ص ١٥٨-١٦٤ للوقوف على ترجمة الأمير أحمد بن قلاوون الذي تسلطن سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م لمدة ستة أشهر، ثم خلع منها، وتولى مكانه أخوه الصالح إسماعيل .

(٥) بَكْتَمُر بن عبدالله الساقي الناصري كان من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٨-١٣٠٩م)، ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، فحظي عنده، وجعله ساقيًا، وتوفي بَكْتَمُر سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م. راجع الصفدي: الوافي بالوفيات جـ١٠ ص١٩٣-١٩٧، وابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٢ ص٢٣٤-٢٣٥، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٢ ص٣٦٤- ٣٦٥، والمقفى جـ٢ ص٤٦٨ - ٤٧٤، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٣٩٠ . وابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار الفكر، بيروت، جـ٦ ص١٠٤-١٠٥ .

من «تجمل زائدٍ، وحشمة وافرة»، حتى قال الصفدي: «ورأيت ما هالني»[1] .

ولأنه قد جرت العادة[2] أن يستقبل السلطان أو كبار الأمراء بمصر نواب الشام عند سرياقوس أو البركة، فإنه في سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م قدم الأمير تَنْكِز[3] نائب الشام إلى مصر، ولقيه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأولاده وجمع غفير من الأمراء بسرياقوس، وأحسنوا وفادته[4] .

وشهدت سرياقوس أيضًا في سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م وصول الأمير آنص

(١) الصفدي: الوافي جـ١٠ ص١٩٥، وعنه نقل ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٣٩٤ . وقد شاهد الصفدي آلات الذهب في هذه السفرة إلى بلاد الحجاز. وبالمثل خرج الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد من سرياقوس سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م إلى بلاد الشام. راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص ٤٩٦ .

(٢) استمرت هذه العادة طوال عصر سلاطين المماليك ومن ذلك: استقبال الشام سودون بن عبدالرحمن بسرياقوس ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م. ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، تحقيق: حسن حبشي جـ٣ ص٧٢ .واستقبل أيضًا بسرياقوس سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م . ابن الصيرفي: السابق جـ٣ ص١١٥ . واستقبل بها أيضًا أمير البلاد الشامية يشبك الدوادار سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م . ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٧٦ و٨٢، وراجع ص ٥٩ و ٦٢ و٦٥-٦٦ وص١٧٠ . وعن ملاقاة الأمراء بسرياقوس أو البركة بصفة عامة راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٣ ص٨١٩ وجـ٤ قسم١ ص٣٨٣، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص١٠٦، وابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٢٠٨ . وعن خروج الأمراء إلى الشام عن طريق سرياقوس أو البركة راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٨٩ وجـ٣ قسم٢ ص٨٨٨ وص٩٢٠، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٦٤٩ وجـ٤ ص٨، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٦ ص١٣٤ و٣١٣، وابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١ قسم ٢ ص٥١٣ .

(٣) الأمير تَنْكِز بن عبدالله نائب الشام (ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) أحد الأمراء الذين بلغوا مبلغًا كبيرًا في عهد الناصر محمد بن قلاوون خاصة، وكان الناصر يشاوره ويأخذ بمشورته. عن هذا الأمير الكبير وأعماله في الشام خاصة راجع ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف جـ٢ ص٤٧٠-٤٧١، والصفدي: الوافي جـ١٠ ص٤٢٠ - ٤٣٥ ، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٢ ص٥٠٨- ٥١٣، والمتقى جـ٢ ص٦٠٧-٦٢٢، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٤ ص١٥٦ - ١٦٧ .

(٤) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٢ ص٤١٧، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٩١ .

الجَرْكَسي[1] والد الأمير برقوق أتابك[2] السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٧٨-٧٨٣هـ/ ١٣٧٦-١٣٨١م) وخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه، وهيأ له الخيم والأسمطة والمطابخ فنزل الأمير آنص بالمخيم بسرياقوس بعد أن أُعِدَ له، ومُدّ سماط عظيم عمّ جميع الأمراء، حتى الغلمان، ثم تناول هذا الجمع الكبير الحلوى والفواكه[3]، وأقاموا بسرياقوس إلى الظهر، ثم ركبوا إلى القاهرة[4] .

وبعيداً عن التقاء الملوك بآبائهم أو أبنائهم[5]، فإن هاتين الضاحيتين شهدتا لقاءات بين سلاطين المماليك وبين بعض الملوك المعاصرين لهم أو بين سفرائهم. ومن ذلك احتفاء الظاهر بيبرس برسول صاحب سيس سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م

---

(١) للوقوف على ترجمة آنص الجركسي (ت٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٤١١ وجـ٣ قسم٢ ص٤٦٢ وابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العُمر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحقيق: حسن حبشي جـ١ ص٢٤٤، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص١٠٥ - ١٠٧، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٦ ص٢٧٩ .

(٢) الأتابك: كلمة تركية معناها الأمير الأب والمراد أبو الأمراء أي: أكبر الأمراء، وظهر هذا اللقب في عهد السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥- ٤٨٥هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢م) حيث أطلق على كبير أمرائهم يولونه الوصاية والرعاية من بعد سلاطين السلاجقة على سلطان أو أمير قاصر صغير، وكثيرًا ما تزوج من أم الوصي به فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية، ثم أطلق هذا اللقب في عصر المماليك على مقدم العساكر أو القائد العام على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعًا، وكان يسمى أتابك العساكر. راجع القلقشندي: صبح الأعشى جـ٤ ص١٨، ومحمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص١٤ .

(٣) يذكر ابن تغري بردي في المنهل الصافي جـ٣ ص١٠٦ أن الأسمطة التي مدت من المآكل والمشارب والحلاوات وغيرها، يطول الشرح في ذكرها.

(٤) راجع المقريزي: درر العقود الفريدة جـ٢ ص٥١٦، والسلوك جـ٣ قسم١ ص٤٠٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١١ ص١٤٨ - ١٤٩، والمنهل الصافي جـ٣ ص١٠٥ - ١٠٦، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٣٨، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص ٢٧٧-٢٧٩، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٦ ص٢٧٩ .

(٥) التقى السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) بابنه إبراهيم بسرياقوس عند قدومه من الشام سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م . راجع ابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٤٤٠ .

ببركة الحاج، ومشاركته للسلطان بيبرس رماية البندق[1] بها[2] . ومنه لقاء السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤- ٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م) بسلطان العراق وأذربيجان السلطان غياث الدين أحمد بن أويس الجلائري[3] آخر سلاطين

---

(١) رماية البندق إحدى الألعاب المملوكية - التي سيأتي الحديث المفصل عنها في هذا البحث لارتباطها بسرياقوس والبركة - والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها، وترمى بها الطيور عن طريق أقواس البندق، ثم حدث تطور في رمي البندق فرمي بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق، ولما اخترع البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب، وسموا هذه الآلة بندقية. راجع المقريزي: السلوك جـ١ قسم ١ حاشية (٢) بتعليق: محمد زيادة - ص١٧٢-١٧٣، ود. سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية ص٧٣، والعصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية ص ٣٩٨ .

(٢) المقريزي: السلوك جـ١ قسم٢ ص٥٥٥ وذكر أن صاحب سيس وهو هيتوم أرسل رسوله لإطلاق ابن صاحب سيس الذي أسر في أثناء هجوم المسلمين عليها سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م. وقد ذكر العيني في «عقد الجمان» جـ١ ص٤٢٢ وجـ٢ ص٣١، اسم هذا الابن وهو «ليفون»، كما ذكر في الصفحة الأخيرة اسم الرسول وهو (فاساك)، وراجع أيضًا ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي جـ٢ ص٣١١-٣١٢، وابن كثير: البداية والنهاية جـ٧ ص٢٣٩ - ٢٤٠ و٢٤١ .

(٣) السلطان غياب الدين أحمد بن أويس الجلائري ملك العراق والجزيرة وأذربيجان والجبال بعد موت أخيه الشيخ حسين بن أويس سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م حتى سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م وفيها فر من بغداد من تيمورلنك لما استولى عليها، وقصد البلاد الحلبية، فمصر، وقد استغل السلطان أحمد انشغال تيمورلنك في حربة على القبيلة الذهبية في القفجاق واستطاع بمساعدة من السلطان برقوق، وبدعم من القبائل العربية أن يستعيد بغداد سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م وأن يطرد منها الوالي التيموري، غير أنه وتحت تواصل الهجمات التيمورية خرج من بغداد سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م في اتجاه الدولة العثمانية، فأحسن السلطان العثماني بايزيد الأول (٧٩٢-٨٠٥هـ/ ١٣٨٨-١٤٠٣م) استقباله. واغتنم غياث الدين فرصة زحف تيمور على الأناضول سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م فعاد إلى العراق من جديد غير أنه خرج منه بعد سنة فرارًا من قوات تيمور واتجه صوب بلاد الشام. وأخيرًا وفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م يتمكن السلطان غياث من استغلال وفاة تيمور في ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م أثناء زحفه لغزو الصين، ويتمكن غياث الدين من استعادة بغداد حتى توفى سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م في صراعه مع حاكم ديار بكر قره يوسف التركماني (ت٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م). راجع ابن حجر : إنباء الغمر جـ٣ ص٢٣٠-٢٣١ . وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ١ ص٢٤٨ - ٢٥٦ وجـ٥ ص١٤٩ - ١٥٠ وجـ٩ ص٥٣، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٧ ص١٠١ .

الدولة الجلائرية[1] سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م عند سرياقوس، وأمر السلطان برقوق الجنود والمماليك بتزيين الخيام بسرياقوس حتى العكرشا[2]، وخرج السلطان برقوق للقاء السلطان الجلائري بسرياقوس[3] . ومنها أصدر أمرًا «بأن ينادي بالقاهرة ومصر بأن يتجهز الخلق لقتال تيمورلنك، فنودي بذلك»[4] . وهكذا صدر من سرياقوس الأمر بالاستعداد لقتال تيمورلنك.

واستمرت لقاءات السفراء والأمراء والملوك بضاحيتي: سِرياقوس والبركة حتى نهاية العصر المملوكي[5] ؛ ففي سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م استقبل رسول الشاه إسماعيل الصفوي[6] ملك إيران (٩٠٧-٩٣٠هـ / ١٥٠١ - ١٥٢٣م)

---

(١) جلائر إحدى القبائل المغولية التي ارتبطت بجنكيز خان ونال زعماؤها نفوذًا لديه، وبرز منهم أمراء شغلوا مراكز مهمة في الجيش المغولي، منهم: إيلكونيان الجد الكبير لحسن بن حسين مؤسس الأسرة الجلائرية، واحتل الشيخ حسن بن حسين مكانة في عهد الإيلخان أرغون، وإثر وفاة الإيلخان أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م أعلن حسن بن حسين في بغداد سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م استقلاله عن الإيلخانيين، وأصبحت بغداد عاصمة لدولته التي شملت - إضافة إلى العراق- الجزيرة وأذربيجان والجبال. راجع صالح العابد وعماد رؤوف: العراق بين الاحتلال المغولي والصفوي ضمن كتاب العراق في التاريخ ص٥٥٢-٥٥٣ .

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٣٤٩، وراجع ص٣٤٧ وص٣٦٠ . وذكر محمد رمزي أن العكرشة اسم حوض زراعي كان ذا وحدة مالية، ثم ألغيت وأضيف زمامها إلى ناحية أبي زعبل بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية. القاموس الجغرافي قسم١ ص٨٦ .

(٣) راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٤٧٨ . وعن لقاء برقوق بغياث الدين راجع أيضًا المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٧٩٩-٨٠١، وابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص٤٦٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٤٠-٤١، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٤٦٤ و٤٧٢ . وتجدر الإشارة هنا إلى أن سرياقوس شهدت قبل ذلك مقابلة لرسل الملك أبي سعيد ملك العراق وخراسان سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م. ابن أيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٣٧١، وراجع النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص٦٣ .

(٤) ابن قاضي شهبة: السابق جـ٣ ص٤٧٩ .

(٥) يذكر هنا أنه في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م التقى السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٥م) برسول صاحب مملكة بنجالة بالهند غياث الدين بسرياقوس، ومكث قايتباي بها يومين، وعمل أسمطة حافلة لقاصد ملك الهند. ابن إياس : بدائع الزهور جـ٣ ص٢١، وراجع ص ٦٥ .

(٦) ينتمي الصفويون إلى أسرة تركمانية صوفية تنتسب إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي الذي يصل نسبه بزعم الصفويين إلى الإمام موسى الكاظم، واشتهر هذا الشيخ في أردبيل بطريقته الصوفية التي حققت نفوذًا واضحًا في أنحاء أذربيجان. وتزايد نفوذ ومكانة هذه الأسرة، فلم ترتح لها حكومة القره قونيلو (الشاه السود) (٨١٣-٨٧٢هـ/ ١٤١٠-١٤٦٧م) التركمانية التي نزحت من تركستان الغربية إلى جهات أذربيجان،=

وغيره في سرياقوس[1]، وعيّن السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) الزيني بركات بن موسى المحتسب لملاقاة الرسولين، وأمره بعمل سماط عظيم للرسولين[2] .

بل إن جيوش العثمانيين المهاجمة لمصر سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م عبرت إليها من خلال سرياقوس وبركة الحاج، وكان السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م) أراد أن يقابل جيوش العثمانيين عند وصولها إلى «الغكرشة» «فلم تمكنه الأمراء من ذلك، ولو لاقاهم من هناك لكان عين الصواب؛ فإن خيولهم كانت قد بطلت من الجوع، وكان غالب عسكر ابن عثمان مشاة على أقدامهم من حين خرج من الشام، وهم في غاية التعب»[3] . غير أن الجند العثماني وصل إلى سرياقوس التي كانت تزخر بالمؤن، واستولوا عليها، وخرج منها غالب أهلها بأولادهم وعيالهم وحوائجهم ودخلوا القاهرة[4] . وكان

= مما دفع رجال الأسرة الصفوية إلى الاحتماء لدى زعيم الآق قوينلو (الشياه البيضاء) (٨٧٢هـ-٩١٤م/ ١٤٦٧-١٥٠٨م) حسن الطويل. فلما قضى الطويل على دولة القره قوينلو ارتفع شأن رجال الأسرة الصفوية، واستغل إسماعيل بن حيدر الصفوي حالة الفوضى دولة الآق قوينلو فهاجمهم ودخل العاصمة تبريز عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، ثم مد نفوذه إلى أرجاء إيران، وما أن توج ملكًا على إيران حتى أعلن فرض المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا في أنحاء إيران دون مقدمات، وكانت إيران سُنِّية المذهب، وإن كانت العناصر الشيعية تتركز في بعض مدنها مثل: قم والري وكاشان. وللصفويين معارك مع العثمانيين ساهمت في عدم استكمال العثمانيين لفتوحاتهم بأوربا. عن هذه الأسرة منذ بدايتها راجع البدليسي: شرف نامة ص ١١٨-١٣٦، والقرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد جـ٣ ص١١٥-١١٩، وراجع ص ٩١-٩٧، وراجع: العراق في التاريخ، مرجع سابق ص٥٦٣ وأحمد الخولي: الدولة الصفوية، مكتبة الأنجلو ص ٢٦-١٠٦ .

(١) هو رسول ملك الكَرَج .

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٢٦٥ . وعن استقبال الرسل قبل ذلك مباشرة، راجع: ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص١٢٣، ١٤٣، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠ . وراجع أيضًا ابن إياس: السابق جـ٥ ص١٠، ١١، ٦٠ .

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٥ ص١٤١ .

(٤) ابن إياس: السابق جـ٥ ص١٤٢ .

طومان باي قد أمر بإحراق شون سرياقوس وما بها من «التبن والدريس وغير ذلك من القمح والشعير والفول وذلك لأجل عسكر ابن عثمان حتى لا ينهبوها بسبب خيولهم فيتقوى بذلك العسكر على القتال»[1] .

وقد سار السلطان طومان باي بعساكره قاطبة إلى بركة الحاج، ثم رجع عنها، فوصل إليها الجيش العثماني وأقام بها يومين، مما أزعج السلطان المملوكي طومان باي وجيشه[2] . وقد أخذ المؤرخ ابن إياس[3] على السلطان المملوكي عدم لقائه الجيش العثماني ببركة الحاج «فلم يجسر السلطان طومان باي أن يتوجه إليهم، ولو توجه إليهم وقاتلهم هناك قبل أن يدخلوا الريدانية[4] لكان عين الصواب».

ومما سبق يتبين لنا أهمية موقع سرياقوس والبركة كمدخلين مهمين إلى القاهرة، يمكن من خلالهما حماية مصر أو اقتحامها.

وبسبب أهمية موقع ضاحيتي سِرياقوس والبركة، فإنه تُحكم في حدودهما بدقة كبيرة، منعت من المرور منهما إلى خارج مصر- إلاّ نادرًا- فعلى سبيل المثال قبض بسرياقوس سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م على الأمير يلبغا الناصري[5]، بعدما أرسل السلطان برقوق بعض الأمراء إليها وإلى المناطق القريبة منها مثل: المرج والزيات[6] للبحث عنه، حتى تم إلقاء القبض عليه، وسجنه

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٥ ص١٤٢ .

(٢) ابن إياس: السابق جـ٥ ص١٤٢، ١٤٤ .

(٣) ابن إياس: السابق جـ٥ ص١٤٥ .

(٤) الريدانية اسم يطلق على بستان كبير لريدان الصقلبي (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) أحد خدام العزيز بالله بن المعز. المقريزي: الخطط جـ٣ ص١٣٨ . وذكر محمد رمزي في تعليقه على النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب (ونقل عنه محمد كمال الدين محقق حوادث الدهور جـ١ ص٦٠) جـ١٢ ص٢، أنه لما كان بستان الريدانية يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة، وكان العمار ينتهي إليه، فقد أطلق اسم «الريدانية» على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضي الرملية الفضاء، وهي الآن: المنطقة بين الحسينية ومصر الجديدة والوايلي الصغير والعباسية ومنشية البكري.

(٥) الأمير يلبغا الناصري أتابك العساكر، المتوفى سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م وكان قد خرج على الظاهر برقوق. راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٢٩٥ .

(٦) الزيات هي القلج الآن بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية، وسميت بالقلج نسبة إلى الشيخ قلج الرومي شيخ زاوية السلطان قايتباي بالمرج والزيات والمتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م. راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٢٣٣ ومحمد رمزي: القاموس الجغرافي قسم ١ ص٦٦ .

بالإسكندرية[1] . وتم في سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م تأمين منفذ سرياقوس لئلا يفر من خلاله بعض الأمراء الخارجين على السلطان جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) ويلجأوا إلى الشام[2] . وهو الأمر الذي حدث أيضًا بعد سنتين مع نائب الحكم إثر خلاف[3] بينه وبين السلطان جقمق، وألقي القبض على نائب الحكم وهو بسرياقوس[4] .

كذلك كانت ضاحيتا سرياقوس والبركة سدًا منيعًا يحول دون محاولة بعض الأمراء من المماليك بالشام للخروج على السلطان المملوكي، وإذا حدث وتمكن هؤلاء الأمراء من عبور سرياقوس أو البركة، فإن الأوامر السلطانية كانت تصدر بغلق أبواب القاهرة، وحدث هذا كثيرًا بسبب النزاعات التي جرت بين الأمراء عند بركة الحاج[5]، أو عند سرياقوس[6] .

وبالرغم من أخذ كل التدابير للحيلولة دون خروج أحد من القاهرة عبر سرياقوس أو البركة إلى بلاد الشام؛ فإن بعض الأمراء تمكنوا من الهرب من خلالها إلى بلاد الشام في بعض المرات، منها ما حدث سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م في سلطنة الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)[7] من

---

(١) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٢٠٨، والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٦٤٧، وابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص٣٤٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١١ ص٢٨١، وراجع ص٢٢٨ و٢٩٩ و٢٣٠ . والمنهل الصافي جـ٣ ص٣٠٤ .

(٢) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٣ ص١٠٩٤، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٤ ص٣٣ .

(٣) سبب الخلاف هو إبعاد نائب الحكم لشخص يُدعى (علي) وقع في حق الرسول ﷺ . ابن حجر: إنباء الغمر جـ٤ ص١٥٤ .

(٤) ابن حجر: السابق جـ٤ ص١٥٥ .

(٥) راجع على سبيل المثال: ابن شهبة: تاريخ ابن شهبة جـ٣ ص٢٧٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١١ ص٦٣ وص٢٣٠ . والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٢ ص٦١١ .

(٦) راجع ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٨١، وراجع خبرًا آخر لدى ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٤٠٣ .

(٧) هذه هي فترة السلطنة الأولى له، حيث أعيد مرة أخرى إلى الحكم سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م حتى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م حيث قتل فيها.

هروب لبعض الأمراء عبر سرياقوس إلى الشام «وتوجهوا إلى سرياقوس، وكان بها خيل للسلطان خواص نحو الأربعمائة فرس، فأخذوا من خيارهم نحو المائة فرس»[١] .

وكانت سرياقوس والبركة أقصى مكانين يمكن للسلطان المملوكي عندهما أن يصدر عفوًا عن أمير أو مملوك أو غيرهما، ممن وقع غضب السلطان عليه، وما أكثر الشواهد والأخبار على ذلك[٢] .

وجرت عندهما عمليات التفتيش أو أخذ المكوس التي حدثت أحيانًا في العصر المماليكي للمتجهين صوب الشام وبلاد الحجاز وما بعدهما، ومن ذلك ما حدث سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م في سلطنة الصالح صلاح بن الناصر محمد بن قلاوون (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١-١٣٥٤م) حيث فتشت بالبركة خيام الحجاج وغيرها؛ بحثًا عن العربان[٣]، فقبض على جماعة منهم، فقتل البعض وأفرج عن البعض[٤]، ومن المكوس التي أخذت ببركة الحاج ما فرضه ناظر الدولة[٥]

---

(١) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٧٠، والمقريزي: السلوك ج٣ قسم٣ ص٩٨٨، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٩٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص١٥٠ . وراجع خبرًا آخر لدى ابن حجر: إنباء الغمر جـ٣ ص٤٢٧ .

(٢) راجع على سبيل المثال ابن قاضي شهبة: تاريخ قاضي شهبة جـ١ ص١٢٦ وجـ٣ ص٦١، وابن حجر أنباء الغمر جـ٣ ص٢١٥، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٤ ص٣٠٠، والعليمي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، الأردن جـ٢ ص٣١٤، وابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ١ ص١٠٥ و٢٠٩ و٢٧٥ و ٢٨٤، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص٢٨١ و٢٩٦ و جـ٣ ص٢٤٣ و٢٥١ وجـ٤ ص٩٩ وص٣٠٠ .

(٣) في هذه السنة كثر عبث العربان بالصعيد، وتجمعوا حول أحدهم وتسمى بالأمير ونهبوا في تلك الجهات. راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٨٩٦ - ٨٩٧-وص٨٩٨ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٨٩٩ .

(٥) يقوم صاحب هذه الوظيفة بالنظر في الأموال الواردة والمنصرفة للدولة، والتوقيع على ما يخرج من ديوان بيت المال من أوراق ديوانية، وكانت لديه جميع البيانات الخاصة بالواردات والمصروفات، والبواقي والفوائض والمتأخرات. محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ص٣٤١ .

ابنُ مكَانس[1] من مكس على الحجاج سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م، حيث إنه كان يتجه إلى بركة الحاج عند تكامل الحجاج بها في شهر شوال، ويلزم مقومي الحجاج بإحضار أوراق مُشتري جمالهم من سوق الجمال، فمن لم يحضر ورقة مباشري مكس سوق الجمال نكّل به، وغرمه مالاً «فأضر ذلك بكثير من الجمالة، وتعطل حجاجهم عن الحج، وعادوا من البركة إلى القاهرة»[2] . وقد قبض على هذا الوزير كريم الدين بن مكانس في السنة نفسها ورد الأمير برقوق إلى المظلومين أموالهم[3] .

وقد تجددت هذه المكوس بالبركة على الحجاج والتجار سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥- ٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م) إذ منع التجار أيام الحج من التوجه من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من تجارات الهند، وألزموا أن يسيروا مع الركب إلى مصر حتى يؤخذ منهم المكوس على ما معهم، فلما نزل الحجاج بركة الحاج خرج مباشرو الحاج وأعوانهم واشتدوا على جميع القادمين من التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش أحمالهم، وأخرجوا سائر ما معهم من الهدايا وأخذوا مكسها[4] .

كما حدث تفتيش ببركة الحجاج سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، استقل بعده ركب الحجاج بالمسير بعدما فتش[5] . ويبدو أن المكس المفروض على التجار كان

---

(١) هو عبد الكريم بن عبد الرزاق، الصاحب كريم الدين أبو الفضائل القبطي المصري المعروف بابن مُكانس، وزير الدولة المصرية، تنقل في الخدم الديوانية إلى أن اتصل بالأمير يلبغا الناصري (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) في الدولة الأشرفية شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م) واستمر عنده حتى مقتل الأشرف شعبان، ثم تولى نظر الدولة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م في عهد المنصور عليّ بن شعبان (٧٧٨-٧٨٣هـ/ ١٣٧٦-١٣٨١م). وتوفي ابن مكانس سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م . راجع ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٧ ص٣٣٧ - ٣٤٠ .

(٢) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٤٣، وابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص١٧٧، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٢٣٤ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٤٤ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٧٠٧و ٧٠٨ وراجع كذلك ص ٨٧٢. وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص ١٠٣ .

(٥) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٣ ص١١٣٠، وراجع خبرًا آخر ص١١٧٧ .

يؤخـذ في بعض الأحـيان عند سـرياقـوس، بدليل إلغـائه منهـا سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، وقد ألغي على التجار بالقاهرة في السنة السابقة نفسها[١] .

ولجأت السلطة المـملوكية - أحـيانًا - إلى تعليق رأس القـتلى من المجرمين بسرياقوس بعد تعليقها على باب زويلة[٢] لمزيد من الردع والزجر[٣] مثلما حدث سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م. كما أنها كانت تأمـر الأمراء والعسكر بمصر بالتنقل كل يوم بين ضواحي القاهرة، وخاصة ضاحـية بركة الحاج وسرياقوس في أيام الفتن والقلاقل لمراقبة المداخل والمخارج للحفاظ على الأمن، وللإشعار بالقوة والقدرة على مواجهة الخارجين على سلطان الدولة[٤] .

واختصت سـرياقوس بأنها كانت مـركزًا من مراكز البـريد إلى دمياط وإلى غزّة فـالشام، وكان يعـرف هذا المركز سـابقًا «بالعش»[٥] وكان طويل المدى في مكان منقطع، يشتـكي منه البريدية، فنقل بجوار الخـانقاه الناصرية بسـرياقوس «فـصلح بنقله، وحـصل به الرفق لأمـور لم يكن منهـا إلا قربه من الأسـواق المجاورة للخانقاه الناصرية، وما يوجد فيها وأنسه بما حولها لكفى»[٦] .

ولدينا أخـبار عن وصول البـريد إلى سرياقـوس في طريقه لبـلاد الشام أو العكس[٧] .

---

(١) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٢٣ وجـ٥ ص١٧ - ١٨، وص١٩ .

(٢) عُرف هذا الباب بهذا الاسم نسـبة إلى قبيلة زويلة إحدى قـبائل المغرب التي قدمت إلى مصر مع الفاطميين، وهو يحد القـاهرة من الجنوب، بينما يحدها من الشمـال باب الفتوح. راجع القلقشنـدي: صبح الأعشى جـ٣ ص٣٤٨-٣٥٥، والمقريزي الخطط جـ١ ص٣٧٩- ٣٨٣ .

(٣) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٥٥ .

(٤) راجع ابن إياس: السابق جـ٥ ص٥٦ .

(٥) سبق التعريف بها ص١٢ هامش٣ .

(٦) القلقشندي: صبح الأعـشى جـ١٤ ص٣٧٦ ويفهم مما ذكره القلقشندي في هذه الصفحـة اتـساع سرياقوس، واستحداث قرى بجوارها، وزيادة سكانها وأسواقها.

(٧) راجع ابن قـاضي شهبـة: تاريخ ابن قـاضي شهبـة جـ٤ ص١٦١، وابن الصيـرفي: نزهة النفـوس جـ١ ص٣٦٧، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٥٩ و٢٩٢ .

هذا وقد اختصت بركة الحاج بأنها كانت أولى منازل الحجيج المنطلقين للحج من القاهرة قبل المماليك بقرون بدليل ذكر ابن خرداذبه (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) لها في حديثه عن الطريق من مصر إلى مكة[١]، وذكر المقدسي[٢] والإدريسي[٣] لها كذلك ولكل المنازل[٤] التي ينزلها الحجاج والمسافرون إلى الحجاز.

واستمرت البركة أولى منازل الحج حتى عهد المستنصر بالله الفاطمي[٥] (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) فانتقل الطريق إلى صحراء عيذاب[٦] من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة «إلى أعوام بضع وستين وستمائة. وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج في البر، إلى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الكعبة وعمل لها مفتاحًا، ثم أخرج قافلة الحاج من البر في سنة ست وستين وستمائة، فقل سلوك الحاج لهذه الصحراء»[٧].

---

(١) راجع ابن خرداذبه: المسالك والممالك، دار المدينة ص١٤٩-١٥٠ و١٩٠-١٩١.

(٢) راجع المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر - بيروت ص٢١٥.

(٣) راجع الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، جـ١ ص٣٤٥. وذكر هذا الطريق البري، وطريقًا آخر على ساحل البحر القلزمي من البركة أيضًا.

(٤) مما يبين أهمية منازل الحج في التقاء الحجيج وما ينتج عنه من نشر الأفكار والرؤى ما ذهب إليه المقدسي من أنّ عدم انتشار مذهب وفقه الإمام الأوزاعي أنه لم يكن على سابلة الحاج ولو كان لنقل مذهبه أهل الشرق والغرب. أحسن التقاسيم ص ١٤٤.

(٥) ذكر المقريزي أن المستنصر كان في كل سنة يخرج إلى بركة الحاج بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجانة، وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضًا عن الماء، ويسقيه من معه، ونقل أخبارًا في هذا عن ابن ميسر. الخطط جـ١ ص٤٨٨.

(٦) عَيْذاب بليدة كانت على ضفة البحر الأحمر، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص١٧١. وتقع أنقاض عيذاب شمال ميناء حلايب على البحر الأحمر لمسافة ١٥ ميلاً شمالاً. عطية أحمد القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية ص ١٢٨ هامش (١).

(٧) المقريزي: الخطط جـ١ ص٢٠١ وذكر أن حجاج مصر والمغرب كانوا يركبوا النيل من ساحل الفسطاط إلى قوص، ثم يركبون الإبل من قوص ويعبرون هذه الصحراء إلى عيذاب ثم يركبون البحر في المراكب إلى =

وقد ذكر القلقشندي[1] كل منازل الحجاج من البركة، وحتى مكة المكرمة. وأول ذكر للمحمل[2] في عصر سلاطين المماليك كان في سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م حيث أمر الظاهر بيبرس بتجهيزه والتوجه به إلى الحجاز[3] . واستمر الأمر على ذلك طوال عصر سلاطين المماليك، إذ ينطلق المحمل من البركة مع أمير الحاج سنويًا في النصف الأخير من شهر شوال[4]، ويعود الحجاج مارين بالبركة أيضًا في شهر المحرم، ونادرًا ما خرج الحاج من غير بركة الحاج، ومن ذلك خروج

= جدة، واستمر ذلك مائتي سنة. ويذكر هنا أن ابن جبير الرحالة الأندلسي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) سلك هذا الطريق في حجه سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م. راجع رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري ص ٥٦ - ٧٠ .

(١) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٤ ص٢٨٤-٢٨٥ وجـ١٤ ص٣٨٥-٣٨٦ . وأبرز هذه المنازل: البويب وعجرود القريبة من السويس، ونخل، والعقبة، وحقل، والوجه، والجحفة، وغُسْفَان، فمكة المكرمة، وراجع في ذلك أيضًا السخاوي: الضوء اللامع جـ٢ ص٣ . وقد ذكر المقريزي أنه في سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م بطل سلوك الحاج على طريق الوجه بسبب انعدام بها وهلاك الحجاج في السنة السابقة عليها عندها، فاحتفر بئران بموضع يقال له: زعم وقبقاب حتى لا يحتاج الحاج إلى ورود الوجه. السلوك جـ٤ قسم٢ ص٨٦٠ .

(٢) المحمل: إطار خشبي كان يحمل داخله ستارة الكعبة المشرفة وكسوتها، وكان يغطى بالحرير المزركش، ويأخذ شكل الكعبة في تكعيبها السفلي، أما النصف العلوي فكان يأخذ شكل الخيمة، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٥٢٠ ص٤٩ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ١ ص٥٥٤ .

(٤) راجع على سبيل المثال المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٨٢٢ و٨٣٦ و٨٩٩، وجـ٤ قسم١ ص٣٦٨، و٤٦٧ و٥٠٩ و٥٣٩، وجـ٤ قسم٢ ص٦٢١ و٦٤٤، و٦٦٩ و٨٩٢، ٩٠٤، و٩١٧، و١٠١٠ و ١٠٤٠ . وابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ١ ص٧٦ و٩٥ و١٢٣ و١٣٦ و٢٨٢ و٢٢٢ و ٢٤٩ و٢٩٨ وجـ٢ ص٣٣٦ و٣٧٧ و٥٩٣ و٤٠١ و٤٥٢ و٤٧١ و٥١٠ و٥٤٥، والنجوم الزاهرة جـ١٢ ص١٣٥ وجـ١٥ ص١١٤ و١١٦ و١٢٧ و١٨٢، ١٨٩ وجـ١٦ ص٧٥، و٨٨، و٢٤٠ و٢٤٥ .

ويذكر هنا أنه بداية من سنة ٦٨١ / ١٢٨٢م وحتى نهاية عصر المماليك أقيمت احتفالات كبيرة تضمنت العديد من الفنون والألعاب عند سَوْق المحمل احتفاءً بهذه المناسبة. راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٦٣ - ٢٦٦ . وكانت هذه الاحتفالات تقام في منتصف رجب. راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٢٦٩ وقسم ٢ ص٤٤٧ وجـ٤ قسم٢ ص٦١٤ و٦٣٧ و٦٨٨ و٧١٩ و٧٤٤ و٧٧٨ و٨٠٠ و٨٣١ و٨٥٥ و٨٦٧ و٨٨٩ و٩٤٠ و٩٧٢ و١٠٠٦و ١٠٢٦ .

الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، والأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م) سنة٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م من سرياقوس في طريقهما للحج[١] .

كما شهدت البركة كذلك خروج المعتمرين في أواخر شهر رجب من كل عام، وعرف هؤلاء بالحجاج الرجبية[٢] . وحدث أن خرج المعتمرون في إحدى المرات في عصر المماليك في شهر جُمادى الأولى من بركة الحاج سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م وكان في هذا الركب المؤرخ تقي الدين المقريزي وأهله[٣] .

وكان خروج الحجاج والمعتمرين من البركة يتم بنظام وترتيب خاص، حيث يجعل الحجاج يسيرون في صفوف متحاذية، ناسٍ بعد ناسٍ؛ لئلا يحدث اصطدام في الطرقات الضيقة، وعند المضايق التي تقابلهم في الطريق إلى مكة المكرمة[٤] . وشهدت البركة ازدحامًا كبيرًا من الحجاج في بعض السنوات، منها: سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م «وكان قد خرج الركب في عالم كثير»[٥]، وسنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٦]، وسنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م وذكر فيها أن عدد الحجاج لا يحصيهم إلا الذي فطرهم[٧] .

---

(١) الصفدي: الوافي جـ١٠ ص١٩٥، والمقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ص ١١٩-١٢٠، وراجع ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٣٩٤ .

(٢) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٩ و٥٤ و١٩١ وقسم ٢ ص٤٤١.و٤٤٧ وجـ٣ قسم ٣ ص٩٨٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٥ ص١٥٢ و١٦٩، والسخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٥٠ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٨٥٤، وذكر أن الجمال في هذه السفرة بلغت ألفًا وخمسمائة جمل. وراجع ابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص٢١٩-٢٢٠ .

(٤) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٥٣ .

(٥) المقريزي: السابق جـ٢ قسم١ ص١١ .

(٦) راجع المقريزي: السابق جـ٣ قسم٢ ص٥٨٦ .

(٧) ابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص٢٨٨ . وأشار المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٩١٧ إلى كثرة الحجاج في هذه السنة، وشهدت سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م موكبًا حافلاً للحجاج، ضج الناس به - كما ذكر- لكثرة الحجيج. ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٤١٢ .

وهذه الكثرة، وهذا التجمع اقتضى اهتمامًا كبيرًا من الدولة المملوكية لتوفير متطلبات الحجاج والمعتمرين بالبركة؛ نقطة تجمعهم الأساسية، ولذا أوقفت الأوقاف، وأنشئت المنشآت المائية لإرواء الحجاج والمعتمرين. ومن هذه الأوقاف وقف الملك الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م) لقرية بَهْبِيت[١] على سقي وإطعام الحجاج[٢]، ومن المنشآت المائية ما أنشأه ناظر الخزانة السلطانية[٣] زين الدين عبدالباسط بالبركة سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م من ساقية ماء، وتعمير فسقية كبيرة «تملأ بالماء ليردها الحجاج، فعظم الانتفاع بها»[٤]. ومنها ما أنشأه الأمير الشهابي[٥] (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) والشيخ إبراهيم المتبولي[٦] (ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) من بستان وسبيل ببركة الحاج[٧]، شاهدهما المؤرخ السخاوي عند زيارته للشيخ المتبولي؛ فإذا بالبستان متسع والسبيل هائل؛ عم الانتفاع به لاسيما في أيام الحج[٨]. وبالمثل أنشأ أمير ركب الرجبية علان بن ططخ (ت٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) سبيلاً حسنًا[٩] في طريق بركة الحاج سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م.

---

(١) بَهْبِيت: قرية قديمة من أعمال الجيزة. محمد رمزي: القاموس الجغرافي قسم٢ جـ٣ ص٤٢.

(٢) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ١ ص١٣١، والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٩٤٤.

(٣) ناظر الخزانة السلطانية هو الذي يشرف على الأموال والنقد وغير ذلك، ويوضع في هذه الخزانة السلطانية. راجع القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥ ص٤٦٢-٤٦٣. وقد تولاها زين الدين عبدالباسط سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م. المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٣٨٢.

(٤) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٦٩٦، وذكر أيضًا إنشاء بستان بالبركة في السنة نفسها على يد زين الدين عبد الباسط. وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص١٠١.

(٥) الأمير شهاب الدين أحمد بن إينال، أحد الأمراء في سلطنة الأشرف برسباي والظاهر جقمق وتولى في عهده نيابة الإسكندرية مدة طويلة، وعنه راجع ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٢ ص٣٢-٣٥، والنجوم الزاهرة جـ١٥ ص٢٨٥ و٢٨٦، وحوادث الدهور جـ٢ ص٣٥٢، والسخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص٣٥٥.

(٦) سيأتي الحديث المفصل عن الشيخ إبراهيم بن علي المتبولي لدوره الديني ببركة الحاج وعنه راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٨٥ - ٨٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٨٨.

(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٣٥٢، والسخاوي: التبر المسبوك، الطبعة السابقة ص٣٥٥، وابن إياس: السابق جـ٣ ص٨٨.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٨٥.

(٩) السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٥٠.

وما من شك في أن الاهتمام بالبركة ومنشآتها المائية، وتوفير احتياجات الحجاج بها من غذاء يزداد عند خروج سلاطين المماليك وغيرهم[1] للحج مروراً بالبركة، ومن أدوا الحج السلطان الظاهر بيبرس وحج في سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م[2]، والناصر محمد بن قلاوون وحج ثلاث مرات[3] : الأولى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، والثانية سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، والثالثة والأخيرة سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م .

وكذلك حج الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون (٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م) سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م وأمر بوضع الأغذية المختلفة في البركة وغيرها من منازل الحج[4] . كما أنّ ركب الأمراء وزوجات السلاطين تميز باصطحاب الجمال التي حملت البقول والخضروات المختلفة[5] .

ومما سبق يتبين لنا الدور المهم الذي اضطلعت به سرياقوس[6] وبركة الحاج، ونهضتا به سياسيًا وأمنيًا ودينيًا، وهو الدور الذي لم يتهيأ لغيرهما من أماكن ومواقع بمصر؛ بسبب موقع كل منهما الجغرافي الذي أهلهما لأداء مهامٍ مختلفة للقاهرة بصفة خاصة، ولمصر بصفة عامة في أثناء فترة البحث، وستتضح أهمية هاتين الضاحيتين أكثر من خلال ما سيأتي في البحث من نقاط وأخبار.

---

(١) حج في عصر المماليك ملوك التكرور وبني رسول. راجع المقريزي: الذهب المسبوك ص١١٠ - ١١٨ .

(٢) المقريزي: الذهب المسبوك ص٨٦، و٨٩، و٩١، والسلوك جـ١ قسم٢ ص٥٧٣ - ٥٨٣، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٤٥٥ .

(٣) المقريزي: الذهب المسبوك ص٩٦ - ١٠٩، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٦٢ و٤٦٣ .

(٤) راجع المقريزي: الذهب المسبوك ص١١٩، والسلوك جـ٣ قسم١ ص٢٧١ و٢٧٢ ٢٧٣، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٦ ص٢٤١ وجـ٧ ص٤٠٥ .

(٥) راجع على سبيل المثال الصفدي: الوافي جـ١٠ ص١٩٥، والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص١٧٧، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٦ ص٢٣٨ .

(٦) يذكر هنا أن السلطان الأشرف شعبان كتب من خانقاه سرياقوس سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م وصيته بالسلطنة من بعده لولده عليّ، ثم من بعده لأخيه حاجي. ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص١٧٤ .

ثانيًا: الأهمية الاقتصادية لسرياقوس والبركة:

مثلت سرياقوس والبركة أهمية اقتصادية لدولة المماليك بما احتوت على أراض خصبة أثمرت أنواعًا متعددة من الفواكه والخضروات، وأنتجت مزورعات مختلفة استغلت كطعامٍ لخيول الدولة، وقدمت أشجارًا كثيرة استثمرت في صناعة السفن، هذا بالإضافة إلى عبور التجار بإحدى الضاحيتين في طريقهم إلى بلاد الشام أو الحجاز أو غيرهما.

وتشير المصادر إلى أن المزورعات المختلفة من خضروات وفواكه، ومحاصيل الأنعام كانت منتشرة على نطاق واسع في الضواحي بصفة عامة، وفي هاتين الضاحيتين بصفة خاصة. ومن هذه المزروعات: الخيار والقرع والقِثّاء[1] والقمح والفول والشعير والبطيخ، والبرسيم، والقرط[2]، وغيرها[3]. وكانت بساتين سرياقوس والبركة مشهورة[4]. بصفة خاصة توسعًا وتنوعًا في فواكهها على يد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م حيث إنه أنشأ بساتين بها حمل إليها الأشجار من دمشق وغيرها، فصار بها عامة فواكه الشام[5]. وأحضر الناصر محمد بن قلاوون مختصين بغرس الأشجار وتطعيمها من بلال الشام إلى سرياقوس «فأفلح فيها الكرم والسفرجل وسائر الفواكه»[6]. وكانت فواكه بساتين سرياقوس تحمل بأسرها إلى الشرب خاناه السلطانية بقلعة الجبل، ولا يباع منها شيء البتة[7].

---

(١) القثاء: نوع من البطيخ، وهو اسم جنس لما يسمى بمصر: العجّور والفَقُّوس والخيار. المعجم الوسيط جـ٢ ص٧١٥.

(٢) القُرط: نبات عشبي يماثل البرسيم. المعجم الوسيط جـ٢ ص٧٢٧.

(٣) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٨٥ - ٧٨٦ وجـ٣ قسم١ ص١٢-١٣ وجـ٤ قسم٢ ص١٠٤٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٥ ص١٤٢.

(٤) راجع ابن أيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٣٠٢.

(٥) راجع ابن أيبك: السابق جـ٩ ص٣١٣ و٣١٥، والنويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٣، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم٢ ص٥٣٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٣٩.

(٦) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٩٨ وراجع ص١٩٧.

(٧) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٩٧.

ورأى السلطان الناصر ضـرورة حفر خليج ينتهي إلى سـرياقوس، ويرتب عليه السواقي والزراعـات «وتسير فيه المراكب في أيام النيل بالغـلال وغيرها إلى القـصـور بسـرياقـوس»[1] ، فـحـفر هـذا الخليج الذي عـرف بالخليج الناصري[2]، وجرت فيـه السفن، وعُمـرت عليه السواقي، وأنشئت بجـانبه البساتين والأملاك[3] .

وذكر المقريزي[4] أن الناس اشتـروا عدة أراضٍ من بيت المال علـى جانبي الخليج، غرسوا فـيها الأشجار، وعمـروا فيها العمـائر، وتنافسوا في السكنى، وأنشأوا الحمـامات والمساجد والأسواق، فـصارت البساتين الجمـيلة على حافتي الخليج «وصـار هذا الخليج مـواطن أفـراح، ومنازل لهـو، ومغنى صـبـابات،

---

(١) المقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٢٦١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٧ .

(٢) ذكـر النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٢ ، والمقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم١ ص٢٦١ - ٢٦٢، والخطط جـ٢ ص١٤٤-١٥١، وابن تغـري بردي: المنهل الصـافي جـ١٠ ص٢٨٠، والنجـوم الزاهرة جـ٩ ص٦٧ و١٣٩ أخبار حفر الخليج وطريقه وقناطره. وأوضح محمد رمزي (هامش (١) ص٨٠ جـ٩ النجوم الزاهرة ط دار الكتب المصرية) أن هذا الخليج يأخـذ ماءه من النيل ويتصل بالخليج الكبيـر (الخليج المصري) لزيادة الماء فيـه، وأن الخليج الناصري كان مـوجودًا حتى سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م وأنه كـان يخرج من النيل عند النقطة التي يتقابل فيها شارع القصر العـالي بشارع والدة باشا ثم يسير إلى الشرق بدوران نحو الشمال إلى أن يتقابل بشـارع القصر العيني، ثم يسير بجـواره حتى شارع السلطان حسين (شارع الشيخ ريـحان سابقًا) فينعطف نحو الشرق، ثم يسير إلى ميدان توفيق شمالاً ثم إلى محطة مصر ثم ينعطف إلى المستشفى القبطي بشارع الملكة نازلي، ويسـير حتى ينتهي بشـارع الخليج المصري حيث كان يصب في الخليـج المذكور بقرب جامع الظاهر. أي إنه كان يبتدئ عند قرب قنطرة السد (شمال مصر العتيقة) ويتجه إلى ميدان التحرير حتى يصل إلى الخليج الكبيـر. وقد وصل الخليج الناصري من خـارج القاهرة إلى سرياقـوس. راجع المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٤٥- ١٥٠ عند حديـثه عن قناطر الخليج الناصري. وذكـر ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٢٢٩ أن الخليج الناصر روى أراضي المطرية والبلاد التي تحتها.

(٣) راجع ابن إيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٣١٩، والنـويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص ١٨٢ ، والمقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم١ ص٢٦١ وجـ٢ قـسم٢ ص٥٣٩، وابن تغـري بـردي: النجـوم الزاهرة جـ٩ ص٦٧ و١٣٩، والسيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقـيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية جـ٢ ص١١٦، ٣٨٩ .

(٤) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٤٣-١٤٤ وص١٦١ .

وملعب أتراب، ومحل تيه وقصف- لعب- فيما يمر فيه من المراكب، وفيما عليه من الدور». وقد حصل بهذا الخليج نفع كثير[1] .

ووقع على سرياقوس- والبركة كما سيأتي- عبء توفير غذاء الأنعام والحيوانات من القُرط والبرسيم وتبن القمح وحشائش الحقول، وبخاصة للخيل والجمال السلطانية. وكان بسرياقوس إصطبل سلطاني تؤخذ إليه خيول السلطان المملوكي وجماله وهُجْنُه[2] ، وكذا خيول الأمراء وجمالهم لتتغذى بهذا المكان عند وصول السلطان أو الأمراء إلى سرياقوس[3] . ويفهم مما ذكرته مصادرنا التاريخية[4] متصلاً باستيلاء بعض الأمراء سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م على مائة فرس[5] من خيول السلطان الناصر فرج بسرياقوس أنّ سرياقوس كان بها أماكن لتسمين ورعاية وحفظ جياد السلطان المملوكي التي بلغت بسرياقوس سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م في عهد الناصر فرج ٤٠٠ فرس[6] . وكان بها أيضًا شُون مملوءة بالتبن والدريس وغير ذلك من القمح والشعير والفول للغرض السابق نفسه، واستمر ذلك إلى نهاية عصر المماليك، فأمر طومان باي بحرق هذه المخازن الخاصة بالغلال والتبن سنة ٩٢٢هـ/ ١٥٨٤م لئلا يستولي عليها العثمانيون عند نزولهم بسرياقوس ويستعينوا بها في تغذية خيولهم ويقوى بذلك الجند العثماني على القتال[7] .

---

(١) النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٢ .

(٢) الهُجن: ضرب من النوق خفيف الجسم سريع السير. المعجم الوسيط جـ٢ ص٩٧٥ .

(٣) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٨٨ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٣ ص٩٨٨، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٧٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص١٥٠، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٥٦٠ .

(٥) ذكر ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ٢ ص٤٠ أن هؤلاء الأمراء المتمردين أخذوا معهم في طريقهم إلى الشام ٣٠٠ فرس من خيول السلطان التي كانت بسرياقوس، وهي الخيول التي جيء بها إلى السلطان الظاهر برقوق من المغرب.

(٦) ابن شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٧٠ .

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٥ ص١٤٢ .

وجرت عادة سلاطين المماليك جميعًا وأمراؤهم أن يسرّحوا جمالهم وخيولهم في أوقات الربيع وعند ظهور المزروعات التي ترعاها الأنعام والحيوانات؛ بهدف تسمين هذه الجمال والخيول والدواب، وكانت سرياقوس- وكذلك البركة- من أهم أماكن السرحات في عصر سلاطين المماليك. وكان هؤلاء السلاطين يصطحبون - أحيانًا- أمهاتهم ونساءهم وعساكرهم وندماءهم في هذه السرحة، وتنزل أمهاتهم وحريمهم والنساء المصاحبات لهن في أحسن الخيام ببساتين سرياقوس، وبمناظر الأمراء بها بعد إخلائها منهم[1] .

وفي بعض الأحيان كان السلاطين يخرجون إلى سرياقوس للسرحة، ومعهم الأمراء والأعيان، فينزل السلطان في القصور التي أقيمت بها لهذا الغرض، بينما ينزل الأمراء والأعيان على منازلهم في الأماكن التي بنيت لهم، وكان هؤلاء السلاطين يقيمون بالسرحة أيامًا[2] ؛ فبعضهم أقام بسرياقوس بغرض السرحة خمسة وعشرين يومًا[3] ، وبعضهم أقام بها عشرين يومًا[4] وبعضهم أقام بها أسبوعين[5] ، وبعضهم أقام بها أسبوعًا[6] ، وبعضهم أقام بها خمسة أيام[7] ، وكان السلاطين يمارسون مهام حكمهم من سرياقوس[8] ، ويصحبون

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٧٩ وص٦٨٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١٠ ص٩٨، وجـ١١ ص١٩٧ . والمناظر هي ما كانت مُعدة بسرياقوس من أماكن لاستقبال الزائرين. وقد بلغ عدد النساء مع أم السلطان الكامل شعبان (٧٤٦ - ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥-١٣٤٦م) في سرحة سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م مائتي امرأة.

(٢) المقريزي: الخطط جـ٢ ص ١٩٨، وقد ذكر المقريزي ص ١٩٩ الاحتياطات الأمنية المتبعة لحماية السلطان .

(٣) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٢ ص٨٦٨ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٥٦٧ .

(٥) المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٢ ص٣١٦، وجـ٣ قسم٢ ص٥٢٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٨١ .

(٦) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٨٤٩، وجـ٤ قسم ١ ص٢٨٤ و٤٢٢ .

(٧) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٤٦٦ .

(٨) راجع ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٤٢٨، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٢٨، وجـ٣ قسم٢ ص٥٦٧ و٧٣٣، وجـ٤ قسم١ ص٤٦٦ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٦ و٩١ وجـ١٠ ص٧٨ و١٢٢ و١٣٥ و١٧٢ وجـ١١ ص٢٠٦ . وذلك لأن السرحة قد تصل إلى ٤٠ يومًا. راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٣٣ .

في سرحتهم هذه ما تدعو الحاجة إليه كـالأطباء الذين يحملون العقاقير المختلفة معهم، حتى إنه ليبدو أن السلطان اصطحب معه مارستانًا[1] .

وكان الناس بسرياقـوس يسعدون بهذه السرحات لما ينالونه فـيها من المآكل والهبات من الأموال[2]، ولم يتخلف عن هذه السـرحات أي سلطان مملوكي[3] حـتى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م حـيث ركب السلطان المؤيـد شـيخ وسـرح إلى سريـاقوس[4] . وهنا لابد من الإشـارة إلى مـعلومة غـير صـحـيحـة أوردها المقريزي[5] - وغيره-[6] في أحداث سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م حـيث قال: «عاد السلطان - برقـوق- من سرياقـوس. ولم يخرج إليـها بعد ذلـك ولا أحد من السلاطين، وجهلت عوائدها، وخربت القصور، وكانت من أجمل عوائد ملوك مصـر». وذكر ابن تغري بردي أن سـرحة سريـاقوس كانت من أحـسن عوائد الملوك، وأن النزول بها يضـاهي نزول السلطان إلى الميدان[7]، والميادين أبـطلها الملك الظاهر «وسرياقوس أبطله الملك الناصـر» ثم صار كل ملك يأتي بعد ذلك يُبطل نوعًا من تراتيب مصر، حتى ذهب الآن- في عـصره- جميع شعار الملوك السالفة[8] .

---

(١) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٩٩ .

(٢) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٩٨ .

(٣) راجع المقريزي: الـسلوك جـ٢ قـسم٢ ص٣٠٩، وص٣٢٩، وجـ٢ قـسم٣ ص٦٢٨ و٨٢١ ، وجـ٣ قـسم٢ ص٤٩٨ و٧٩٦ و٨٨٢ و٨٨٧، وابن حجر: أنباء الغـمر جـ٣ ص١٥ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٧٤ ، وجـ١١ ص١٩٧ . وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٧٥ و٥٥٠ و٥٥١ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قـسم٢ ص٣٧٦ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٤ قـسم١ ص٤٦٦، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢٢٣ .

(٥) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٨٨٨، والخطط جـ٢ ص١٩٨-١٩٩ .

(٦) ابن حـجر: إنبـاء الغمـر جـ٢ ص٩، وابن تغري بردي: النجـوم الزاهرة جـ١٢ ص٥٨-٥٩، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قـسم٢ ص٤٩٢ .

(٧) ذكر المقريزي ميادين القاهرة في الخطط جـ٢ ص١٩٦-٢٠٠، ومنها: الميدان الناصري الذي أنشأه الناصر محمد ابن قلاوون سنـة ٧١٤هـ / ١٣٤٠م للسباق. وكـان هذا الميدان واقـعًا في المنطقـة التي تحد اليـوم من الغرب بشاعر القصـر العالي على النيل ومن الجنوب شارع والدة باشا بأرض القصر العالي، ومن الشـرق شارع قصر العيني، ومن الشمال شارع رستم باشا. محمد رمزي هامش ٢ جـ١٢ النجوم الزاهرة ط دار الكتب المصرية.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٥٩ .

والصحيح أن سرياقوس كانت مكانًا لسرحة سلاطين المماليك وأمرائهم[١] حتى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م كما ذكر المقريزي نفسه[٢] ثم إنه في سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م في دولة الأشرف برسباي خُربت قصورها- التي رأى ابن تغري بردي بعضها- فكان ذلك سببًا لمحو آثارها، بعد أن كانت من «محاسن الدنيا»[٣] .

ويبدو لي أن التكلفة الكبيرة لسرحة سرياقوس- القريبة من القاهرة- والتي تطلبت عادات معينة[٤]، ونظمًا خاصة، جعلت سلاطين المماليك يكتفون بسرحات سريعة إلى المطرية[٥] يعودون بعدها إلى مقر حكمهم بالقلعة دون أن يصطحب ذلك رسومًا ومظاهر كانت متبعة في سرحة سرياقوس، أو تكون هذه السرحة السريعة إلى الجيزة[٦] أو غيرها من أماكن قريبة للقاهرة[٧] بدون هذه الرسوم والاستعدادات أيضًا التي عرفت في سرحة سرياقوس. ونادرًا ما توجه السلطان إلى أماكن بعيدة للسرحة كالبحيرة[٨] أو الشرقية والغربية، وفيها لم يكن معه سوى عدد قليل من الأمراء والعسكر[٩] . أما الأمراء فكانت سرحاتهم إلى هذه الأماكن الأخيرة[١٠] .

---

(١) عن سرحة الأمراء خاصة بسرياقوس راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٥٧٩ و٥٨٧، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٦ ص١٣٣ .

(٢) راجع حاشية (١) من هذه الصفحة .

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٧ .

(٤) راجعها لدى المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٩٨ - ١٩٩ .

(٥) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٥٣ وجـ٤ ص١٦٥ و١٧٧ و١٩٦ و٢١٩ و٢٢٩ و٢٣٣ و٢٣٧ و٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٦ و٢٥٣ و٢٨١و ٢٨٧ و٢٩٧ و٣١١ و٣٢٥ و٣٢٦ و٣٢٧ و٣٢٨ و٣٣٥ و٣٣٦ و٣٣٨ و٣٧٥ و٣٨١ و٣٩٥ و ٣٩٧ .

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص٥٠ .

(٧) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص٥٢٦ و٥٢٨ و٥٤٠ و٦٧٩ وجـ٤ قسم٢ ص ١١٠٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢٤٢ و٢٤٣ و٢٥٠ و٢٥٢ وجـ١٤ ص١٠٧، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٥٤ .

(٨) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٤٦٩ و٥٤٢ وكان السلطان يركب النيل من منبابة في هاتين السرحتين، مما يؤكد ما ذهبت إليه من قلة العدد والعدة وقلة التكلفة.

(٩) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٣٣ .

(١٠) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٨١ و٢٧١، وجـ٣ قسم٢ ص٩٢٢ . ويذكر هنا أيضًا أن المماليك كانوا يخرجون إلى الضواحي لشراء التبن لخيولهم. راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٧٨٢.

ولديّ نص يؤكد ما ذهبت إليه من ترك سرحة سرياقوس بسبب تكاليفها العالية ونفقاتها الكبيرة، ذكره ابن تغري بردي[1] وهو ذكره أنّ الذي كان يصرف على نزول السلطات إلى سرحة سرياقوس «بكلفة ملوك زماننا هذا من أول السنة إلى آخرها، فلعمري! هل الأرزاق قلت أم الهمة اضمحلت».

ولاشك أن الدولة المملوكية في أواخرها لم تكن في وضع اقتصادي وماليّ يسمح لها بالنفقات الكبيرة بعد أن اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م وأمكن للأوربيين الوصول إلى تجارات الشرق الأقصى دون المرور بمصر.

وعلى أية حال فقد استمرت زيارات السلاطين بسرياقوس بعد انقطاع السرحة إليها - مما يؤكد ما ذهبت إليه من تفسير حول إبطال السرحة إليها- حيث بنى بها الأشرف برسباي جامعة سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م ومضى إليه في السنة نفسها[2]، وحيث توجه السلطان الغوري إلى الخانقاه الناصرية بها سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وسنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وأقام بها يومًا وليلة[3].

كما أن أراضي سرياقوس الخصبة خدمت النظام الإقطاعي الحربي المملوكي، فوزعت بعضها على الأمراء[4]. كذلك كانت أراضيها مرعى للأغنام، وحدث سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م اعتداء على هذه الأغنام[5].

وبالمثل كانت بركة الحاج من حيث الأهمية الاقتصادية؛ إذ إن سرحة السلاطين كانت إليها في بعض الأحيان، ومنها سرحة المؤيد شيخ سنة ٨٢١هـ/

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٥١.

(٢) سيأتي الحديث المفصل عن هذا الجامع، وراجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص١٠٢١ و١٠٢٣.

(٣) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٦٤ وجـ٥ ص٤٨.

(٤) راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٨١ حوادث سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م وجـ١٦ ص٢٩٣ و٣٢٠. ويذكر هنا أن ضواحي القاهرة ساهمت في هذا النظام الإقطاعي المملوكي. راجع المقريزي: المقفى جـ٢ ص٢٩٥.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٢٩٥، وذكر أيضًا خطف الأغنام من المطرية.

١٤١٨م وعـاد من يومه إلى القلعـة[١]، ومنهـا قيـام الأشـرف برسبـاي بأربع سرحات[٢] إلى بركة الحـاج سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م. ومنها : سـرحة السلطان الغوري إليها سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وقيامه بالإنعام على عدد كبير ممن كانوا معه من الأمراء بالأموال[٣] . وكما كانت الأنعام والحيوانات تسمنُ بسرياقوس كانت كذلك تُسـمن بالبركة، فـلقد كان بهـا «أحواش للخيل والجـمال»[٤] وغيرها، ويذكر المقريزي أنه أدرك بالبركة مراحًا[٥] عظيمًا للأغنام التي تعلف حب القطن وغيـره من العلف «فتـبلغ الغاية من السـمن، حتى إنه يدخل بهـا إلى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها وثقلها وعجزها عن المشي، وكان يقال: كبش بركاوي نسبة إلى هذه البركة، وشاهدت مـرة كبشًا من كباش هذه البركة وزنت شقته اليمنى فبلغت زنتها خـمسة وسبعين رطلاً سوى الإلية، وبلغني عن كبش أنه وزن ما في بـطنه من الشحم خاصـة فبلغ أربعين رطلاً، وكـانت آلايا تلك الكباش تبلغ الغاية في الكبر»[٦] .

وبالإضافـة إلى ما سبق ذكـره من دور اقتصادي لسـرياقوس والبركـة، فإن أخشاب سرياقـوس خاصة استغلت في صناعة سفـينتين حربيتين بساحل بولاق سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م[٧] . كذلك لديـنا إشارات عن المكوس التي جـبيت من التجار بسرياقوس[٨] والبركة[٩] ؛ مما يبين أهميتها كطريق تجاري إلى بلاد الشام والحجاز وغيرها.

---

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٤٦٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢٢٤ .

(٢) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ٢ ص٨٨٦ .

(٣) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٤) المقريزي: الخطط جـ٢ ص ١٦٣ .

(٥) يقصـد بالمراحي الميادين الواسـعة كمـا يفهم من مـادة الفعل (رحَى) وراجع المعجـم الوسيط جـ١ ص٣٣٥ وراجع جـ٢ ص٨٦١ .

(٦) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٣ .

(٧) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٦٨٢ .

(٨) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٢٣ وجـ٥ ص١٧-١٨، وص١٩ .

(٩) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٧٠٧ و ٧٠٨ و٨٧٢، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص١٠٣ .

ومما مضى يتضح بجلاء قيمة ضاحيتي سرياقوس والبركة لمصر خاصة في عصر سلاطين المماليك؛ فلقد كان دورهما بارزًا في المجال الاقتصادي عامة، والمجال الزراعي والرعوي خاصة، وفاق دور سرياقوس دور البركة[1] في هذا المجال، كما حدث العكس في مجالات أخرى- سبق ذكرها - نظرًا لطبيعة جغرافية كل منهما، ولطبيعة اهتمام السلاطين، ولكنهما معًا أديا دورًا مهمًا في عصر سلاطين المماليك .

ثالثًا: الدور الاجتماعي لسرياقوس والبركة وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية بهما:

أدت سرياقوس والبركة دورًا اجتماعيًا مهما لسلاطين المماليك وأمرائهم بصفة خاصة، لما كانتا تتمتعان به من أراضٍ واسعة فسيحة، وبساتين جميلة، استغلتا في التنزه والرياضة والصيد. كذلك شهدت هاتان الضاحيتان جانبًا من المظاهر الاجتماعية الأخرى التي سادت مصر في عهد سلاطين المماليك .

وكانت سرياقوس والبركة مجهزتين لاستقبال سلاطين المماليك وأمرائهم وأتباعهم[2]، فأنشئت القصور والمنازل بهما، وأقيمت الميادين بهما، وأصبحتا معدتين لاستضافة السلطان والأمراء والمماليك لعدة أيام.

ولدينا خبر عن قصر أحد الأمراء بسرياقوس، هو الأمير سيف الدين بكتمر الساقي[3] (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) الذي كان قصره بسرياقوس قبالة قصر الناصر محمد بن قلاوون «بحيث إنهما يتحادثان من داخل القصرين» بخلاف قصور

---

(١) ذكرت مصادرنا أخبارًا غير التي استدللت بها عن وجود بعض السلاطين بالبركة لكني لم أذكرها لعدم النص على أنهم كانوا في سرحة إليها، مع أن القرائن تشير إلى هذا. راجع على سبيل المثال المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٢٧٤، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص١٧٤ .

(٢) رأى الرحالة طافور موكب السلطان برسباي وهو في طريقه للصيد، وحوله - كما خيل لطافور- أكثر من خمسة أو ستة آلاف فارس، وعدد كبير من البزاة والفهود. رحلة طافور ص٧٤ . وبالرغم من المبالغة في هذا العدد إلا إنه يظهر كثرة الأعداد المصاحبة للسلطان المملوكي في رحلة صيده.

(٣) سبق التعريف به هامش (٥) ص (١٤) من هذا البحث .

بقيـة الأمراء[١] ؛ ومنازلهم[٢] . كمـا لدينا أخبار عن بيـوت البركة منذ عـصر الظاهر بيبـرس الذي أقام بهـا سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م لمدة أسبوعـين كاملين في جنده[٣]، ولدينا كذلك إشارة عن المباني التي أنشأها النـاصر محمد بن قلاوون بالبركة، سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م والتي كان ينزلها سلاطين المماليك[٤] .

ويُعد الناصر مـحمد بن قلاوون من أشد سـلاطين المماليك شغفًـا بالصيد والتنزه، حتى إنه «كرس وقته للصيد»[٥] . كما كان شغوفًـا بالخيل، وله معرفة بأنسابها[٦] . وقد تعـود على الصيد بجـهة سريـاقوس، والمبيت بقـصورها أو العـودة إلى قلعة الجـبل في يوم الصيـد نفسـه[٧] . وممن توجه للصـيد والتنزه واللعب بالكرة بسـرياقـوس بعـده: ابنه الصـالح إسمـاعـيل [٨] سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م والكامل شـعبـان بن الناصـر (٧٤٦-٧٤٧هـ/ ١٣٤٥-١٣٤٦م) الذي لعب في مـيدان سرياقـوس سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م بالكرة[٩] مع الأميـر أرغون الكاملي[١٠] . وكـذلك في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م وفـيهـا انشـغل بلعب الكرة

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات جـ١٠ ص١٩٧، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٣٩٧ .

(٢) راجع ابن الفـرات: تاريخ ابن الفـرات جـ٩ ص٤٢٨ . وراجع أيضًـا ابن تغـري بردي: النجـوم الزاهرة جـ١٥ ص١٤٥ .

(٣) راجع: المقريزي: السلوك جـ١ قـسم٢ ص٤٥٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٠٣ .

(٤) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٣ .

(5) Stanley Lan-Poole: A History of Egypt in the Middle Aqes, p.250 .

(٦) عن اهتمام الناصر محمد بن قلاوون بالخيل راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قـسم٢ ص٥٢٥ - ٥٢٩ . وراجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٢٨ - ١٣٠ .

(٧) راجع النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص٢٥٢ و٢٦٥ و٢٨١ و٢٩٩ .

(٨) المقريزي: السلوك جـ٢ قـسم٣ ص٦٥١ .

(٩) المقريزي: السلوك جـ٢ قـسم٣ ص٦٩٥ . ولعـبة الكُرة من الألعاب المشهورة لدى المماليك، وطريقـتها: ضرب الكرة بالعصـا من على ظهور الخيل. راجـع القلقشندي: صبح الأعـشى جـ٤ ص٤٧ وجـ٥ ص٤٥٨ . وذكر سعيد عبدالفـتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهـضة العربية ص٧١ أنها تعرف اليوم باسم «بولو». وذكر ذلك أيضًا عـبدالمنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسـومهم في مصر جـ٢، مكتبة الأنجلو المصرية ص١٣٩ .

(١٠) أرغون بن عـبد الله الكاملي (ت٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م) من مماليك الصـالح إسماعـيل، وحظي أرغون بمكانة سامية في أيام سلطنة الملك الكامل شعبان أخي الصالح إسـماعيل، وسمي أغون الكاملي نسبة إليه، وقد=

بسرياقوس عن تدبير الأمور[1]، وجعل بعض العامة يلعبون أمامه باللبخة[2] «وهي عصيّ كبار، حدث اللعب بها في هذه الدولة»[3]. وقد اشتهر الظاهر برقوق أول سلطان جركسي بكثرة تنزهه وتصيده للجوارح من الغزلان وغيرها بسرياقوس، وفعل ذلك سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م عدة مرات[4]، وفي إحداها سرح بسرياقوس سرحة التنزه والتصيد لمدة عشرين يومًا، عاد بعدها إلى القلعة[5] . كما توجه في سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م إلى سرياقوس «للصيد والقنص على العادة»[6] . وفي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م ركب السلطان برقوق بعسكره وتوجه إلى سرياقوس لصيد الكراكي[7] والغزلان، وما أشبه ذلك من الطيور والحيوانات[8] . وفي السنة التالية مباشرة أقام السلطان برقوق بعساكره في قصور سرياقوس ثمانية عشر يومًا لغرض الصيد والقنص[9] . وحدث أن توجه الظاهر برقوق إلى سرياقوس سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م لأجل الصيد والقنص «فأقام

= تولى نيابة حلب سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثم أصبح نائبًا على الشام كله سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م في سلطنة الصالح صالح بن محمد بن قلاوون (٧٥٢-٧٥٥هـ/ ١٣٥١-١٣٥٤م)، راجع الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٨ ص٣٥٦-٣٥٨، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٢ ص٣١٩ - ٣٢٣، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٦ ص١٨٤- ١٨٥ .

(١) المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ٣ ص٧٠٣ وراجع ص ٧٢٤ و ٩١٧ .

(٢) لعبة اللبخة هي التحطيب أو النبوت الآن، وكانت عصيّ هذه اللعبة في العصر المملوكي من شجر اللبخ. المقريزي: جـ٢ قسم ٣ ص٧٠٣ هامش (١).

(٣ المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٠٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٠٤ .

(٤) اشتهر بذلك الظاهر برقوق، وراجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٥٠١، وابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٨٧ و١٣٩ .

(٥) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص١٤١، وراجع خبرًا آخر ص ١٥٨، وراجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٥٢٠ و٥٥٠ و٥٥١ للوقوف على سرحات صيد الظاهر برقوق .

(٦) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٣٤٩ .

(٧) الكراكي جمع كُركي وهو طائر كبير، رمادي اللون، طويل العنق، قليل اللحم، صلب العظم، يأوي إلى الماء أحيانًا. المعجم الوسيط جـ٢ ص٧٨٤ .

(٨) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٣٦٧ .

(٩) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٣٧٢ .

بها يلتذ بالمآكل والمشارب وغير ذلك»[1] . ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى إلى سرياقوس بعد أسبوعٍ واحد ليقيم بها سبعة أيام للتنزه والتصيد[2] . واستمر برقوق يتردد على سرياقوس حتى قبيل وفاته بسنة أي حتى سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م[3] .

كذلك تصيد السلطان فرج بن برقوق سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م بسرياقوس، وبات بها[4] وبالمثل فعل السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م بسرياقوس[5] . وكان معظم التصيد والتنزه بعد ذلك بالبركة - وبغيرها- كما سيأتي بيانه.

وقد كان الناس بسرياقوس يقلقون عند سرحة السلطان للصيد بها من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها «على ما هناك من اللحوم الكثيرة» وارتاح مَنْ بسرياقوس سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م من هذه الحِداء والغربان وغيرها من سائر أصناف الطيور لموتها في الوباء الذي وقع في هذه السنة[6] .

أما عن دور البركة في الحياة الاجتماعية لسلاطين المماليك وأمرائهم ومماليكهم، فلقد كان أكثر تنوعًا وتعددًا؛ فبالإضافة إلى قيامها بدور سرياقوس في هذا الجانب إلاّ أن البركة ساهمت في أدوار أخرى اجتماعية زيادة عن دور

---

(١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص ٤٢١ .

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٤٢٢ وراجع ص ٤٣٩ أيضًا .

(٣) راجع في ذلك المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٢ ص٨٦٨ و٨٨٢ و٨٨٧ و٨٨٨ .

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص ٨٤، والمنهل الصافي جـ٤ ص٢١٦ .

(٥) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص١٨٦ و٤٢٦ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢١٢ .

(٦) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٨٤ و٧٨٥ . وراجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٣١ للوقوف على كيفية جلب طيور الجوارح من الصقور وغيرها . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الناصر حسن بن قلاوون كان بسرياقوس وقت ابتداء هذا الوباء في القاهرة، ونصح بالإقامة بسرياقوس وصوم رمضان بها، ففعل ذلك. راجع المقريزي: المصدر السابق جـ٢ قسم٣ ص ٧٧٠-٧٨٠ و٧٨١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١٠ ص١٦١، ١٦٢، وعن هذا الوباء الأسود راجع المقريزي: المصدر السابق ص٧٧٠ - ٧٩١ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٥٥-١٦٨ .

سرياقوس. وعرف دور البركة في هذا المجال قبيل عصر الأيوبيين حيث كان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد توجه إليها سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م للصيد ولعب الأكرة (الكرة) وعاد إلى القاهرة في سادس يوم خروجه، وفعل ذلك كثيرًا، وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان[١] . واستمر الأمر على ذلك في عهد المماليك، وزيد من الاهتمام بالبركة وأصبحت متنزهًا لهم إلى نهاية دولتهم[٢] .

ويُعد الظاهر بيبرس من أوائل سلاطين المماليك - الذين ورد ذكرهم- تنزها بالبركة حيث رمى بها البندق في سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م مع رسول سيس[٣] . كما ورد خبر عن قيام الأشرف خليل بن قلاوون بصيد الطير سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م بالبندق[٤] .

واشتهر الناصر محمد بن قلاوون بالتنزه وممارسة الرياضات المختلفة بالبركة؛ ففي سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م خرج للصيد مع أمرائه وبعض عسكره وأمرهم باستصحاب العليق الذي يكفيهم عشرة أيام[٥]، ونزل إلى البركة[٦].

وتوجه إليها كذلك في سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م وعيد بها عيد الفطر[٧] .

---

(١) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٣ . ويذكر هنا أن عيّد بها عيد الفطر سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م في طريقه للشام. المقريزي: السلوك جـ١ قسم ١ ص٦٩ .

(٢) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٢ و١٦٣ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ١ قسم٢ ص٥٥٥ وسبق التعريف هامش (٣) ص (٧) بيس عاصمة أرمينية الصغرى. ويذكر هنا أنّ الظاهر بيبرس كان قد قضى عيدالفطر بالبركة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠ . المقريزي: السلوك جـ١ قسم٢ ص٤٥٩ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ١ قسم٣ ص٧٨٩ .

(٥) هذا الخبر يبين أن سرحة الصيد تختلف عن سرحة الرعي التي سبق الحديث عنها، ففي سرحة الصيد كان غذاء الخيول يصاحبها، ويمكن في وقت الربيع أن تكون السرحتان واحدة، أي بغرض الرعي والصيد في آن واحد. وراجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص ٤٢٦ و٤٦٦ .

(٦) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية نشر عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية ص٢٠٣، وراجع ابن أيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٦٥، والمقريزي: السلوك جـ١ قسم٣ ص٩١٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٨ ص١١٤ .

(٧) المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ١ ص٧٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥ .

وفي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م نزل الملك الناصر إلى بركة الحجيج «الصيد الكَركي على العادة، وجلس في البستان المنصوري الذي كان هناك ليستريح» واستمع إلى أحد خدامه وهو يَهْزِل قُدّام السلطان ليضحكه[١] . وهذا الخبر يشير إلى اهتمام المنصور قلاوون بالبركة وإنشائه بستانًا فيها، نسب إليه، وإن كانت المصادر لم تنص على هذا. وفي تصيد الناصرمحمد بن قلاوون بالبركة للكراكي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م أمر ناظر الخاص كريم الدين[٢] بعمل ميدان كبير بها وأحواشٍ للخيل والجمال، وعمل ميدان آخر لبكتمر الساقي، وتجهيز ميدان ثالث لنتاج الخيول، فقام ناظر الخاص بجمع ألفي رجل من الصُنَّاع بالقاهرة، ومائة زوج من البقر، حتى أنجز العمل في مدة يسيرة، وركب السلطان محمد بن قلاوون لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها[٣] .

وقام السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م بإجراء سباق للخيل - استمر بعد ذلك[٤] - من بركة الحاج إلى قبة النصر[٥] حيث أرسل ما يزيد على مائة وخمسين فرسًا إلى البركة، كما جرت العادة، حتى أقبلت الخيول يتبع

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٤، واسم الخادم هو: عزيز.

(٢) هو أكرم كريم الدين بن عبد الكريم بن العلم بن هبة الله الذي تولى الكتابة للملك المظفر بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م ثم تدرج في الوظائف حتى أصبح ناظر الخاص في عهد الناصر محمد، وهي وظيفة يقوم صاحبها بالتحدث فيما هو خاص بمال السلطان وهي من مستحدثات الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة. وقد توفي كريم الدين سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م . راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم ١ ص٦١ و٨١ و١٣٠ و ٥٢٦ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٠ و٦٣ . وراجع القلقشندي: صبح الأعشى ج٤ ص٣٠ .

(٣) المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٣، والسلوك ج٢ قسم١ ص٢٣٠ - ٢٣١ .

(٤) راجع على سبيل المثال المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص ٥٠٤ .

(٥) يذكر محمد رمزي أن قبة النصر كانت واقعة في الفضاء الكائن شرقي خانقاه السلطان برقوق وقبة الأمير يونس الداودار بينهما وبين الجبل الأحمر، وقد اندثرت هذه القبة. وخانقاه السلطان برقوق موجودة اليوم وتعرف باسم تربة برقوق بجبانة المماليك. وأيضًا قبة الأمير يونس موجودة شمال تربة السلطان برقوق. النجوم الزاهرج جـ٧ ص٤١ هامش (١) طبعة دار الكتب المصرية .

بعضها بعضًا، تتقدمها حجرة السلطان الشهباء، يقودها أحد البدو[1] . وممن تنزه وتصيد بالبركة أيضًا الظاهر برقوق الذي نزلها سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م، وتنزه بها ثم شق القاهرة في عودته إلى القلعة[2] . وقام سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م بالتصيد بالبركة[3]، وتكرر خروجه أكثر من مرة في شهري المحرم وصفر سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م للتصيد والرماية أيضًا بالبركة[4] . وفعل ذلك أيضًا سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م حيث سار إلى بركة الحجاج ورمى رماية، وعاد في آخر النهار إلى القلعة[5] .

كذلك كان المؤيد شيخ المحمودي مشهورًا بالتردد إلى البركة للتنزه أو للتصيد والرمي أو لمشاهدة سباق الخيول منها.

وحدث أنه في سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م و٨٢١هـ/ ١٤١٨م و٨٢٢هـ / ١٤١٩م قام عدة مرات بالتصيد بالبركة[6]، وأجرى في السنة الأخيرة الخيل منها وركب السلطان سحرا ومعه الأمراء والمماليك، ووقف بهم تحت قبة النصر، وقد بعث أربعين فرسًا إلى بركة الحجاج، فأجريت منها، وأتته ضحى النهار[7].

---

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٢ ص٥٣٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٣٠ وراجع ص١٣١ للوقوف على ما تركه الناصر من خيل وجمال وغيرها، والحِجرة هي الأنثى من الخيل.

(٢) المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٥٠٣ . وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٨١، وراجع خبرًا آخر ص ١٣٩ وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٣٣٤ و٣٣٨ و ٣٥٤ .

(٣) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٢٣٥، والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٧٢٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٤٣٠ و٤٤٠ .

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٣٦٤ و٣٦٥ والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٧٩٧ و٧٩٨، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٣٧٤ و٣٧٥ .

(٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٤٥٢ ، والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٨٦٨ . ويذكر هنا أن الظاهر برقوق كان يتصيد أيضًا في الخصوص بجوار البركة .

(٦) راجع على الترتيب السابق ابن حجر: إنباء الغمر جـ٣ ص٢٠٠، والمقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص٤٦٩ و٥٠٦ و٥٠٧ وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢٣٧ والمنهل الصافي جـ١ ص٨٠، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٤١٩ .

(٧) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٤ ص٥٠٤، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص٢٣٦، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٤٤٨.

وعُرف عن الأشـرف برسباي غـرامة بالبركـة منذ سلطنته[١] في سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م وظهر ذلك من خلال تكراره للتردد عليها للتنزه أو للرمي والصيد في الشهر الواحد وحدث ذلك[٢] سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م وسنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م وفيـها ركب في موكب ملوكي في الثاني عشر من شـهر ربيع الأول وسار من قلعة الجبل بغرَض الرماية بالجوارح لصيد الكراكي. كـما تردد على البركة أيضًا سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م وسنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧[٣] في الشهر الواحد كثيرًا لأجل صيد الكراكي[٤] .

كـذلك كان الظاهر خُـشقَـدَم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦٠-١٤٦٧م) يتوجـه إلى البركـة للتنزه والرمي، وقام بذلك عـدة مرات في كل سنة من سنـي حكمه[٥] . وكان يعود من البركة في موكب حافل، وتزين له القاهرة[٦] ، وفي عهد الأشرف قايتـباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٢م) حدثت زيارات عدة للبـركة في السنة الواحدة لصيد الكراكي بها بدءًا من سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، وذكرت بعض المصادر عدد الكراكي التي صيدت في بعض هذه المرات[٧] . ويبدو أن خروج السلاطين بمواكبهم إلى البركـة بغرض التنزه أو الصيد كان مكلفًا، الأمر الذي جـعل قايتباي يبطل «الرمـايات التي كانت تعـمل ببركـة الجبّ، ودخول الملوك إلى القـاهرة في المواكب الحافلة»[٨] . وهذا لم يمنع السلاطين بعد قايتباي من زيارة البركة[٩] .

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٦٢٢ .

(٢) المقريزي: السلـوك جـ٤ قـسم٢ ص٨٥٢، وابن تغري بردي: النجـوم الزاهرة جـ١٤ ص١٨٤، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص١٣٧ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ٤ قـسم ٢ ص٩٠٦ .

(٤) راجع:المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ٢ ص٩٦٣ و٩٦٤ و١٠٠١ و١٠٠٢ و١٠٢٢ و١٠٢٣ و١٠٢٥ . وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٤ ص١٩٩ و٢٤٠ و٢٦٧ . وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص٣٩٦ و٣٩٩ .

(٥) راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص٢٦٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص٤٤٤ و٤٥٦ .

(٦) ابن إياس: المصدر السابق والصفحات نفسها .

(٧) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٤١، ٦٥، ٩٢، ١٢١ .

(٨) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٣٣٠، ولم يشـر إلى السنة التي تم فيـها إبطال هذه الرمـايات، وإنما ذكر ذلك في أثناء الحديث عن أعمال قايتباي في سنة وفاته ٩٠١هـ / ١٤٩٥م .

(٩راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص٣٦٦ (سنة ٩٢٠هـ)، وص٣٦٧ و٤٠٩ .

وإذا كان السلاطين كانوا يصطحبون معهم الأمراء إلى البركة للتنزه أو للرمي أو للسباق بين الخيول، فإن الأمراء أحيانًا قاموا بذلك وحدهم، ولدينا خبر عن سباق للأمراء بالبركة حدث سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م وذكره العيني[١].

وكان توجه سلاطين المماليك إلى سرياقوس أو البركة أو العودة منها يتم إمّا عن طريق الصحراء والمقابر[٢] ، وإما عن طريق شق القاهرة[٣] ، وأحيانًا كان السلطان يسلك طريق الخليج من سرياقوس خاصة إلى القاهرة[٤] . وما من شك في أن الطريق الأول كان يسلكه من يريد تحاشي الناس، مثلما حدث من الأشرف قايتباي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م من نزوله إلى الرماية أكثر من مرة في شهر شعبان منها، وفي كل مرة «يطلع من بين الترب ولا يشق من المدينة» حتى لا يتعرض لشكوى الناس له من خفة عملة الفضة، وحدوث مشقة للناس بعد أن صارت البضائع تُباع بسعرين: سعر الفلوس العتق شيء، وسعر الفضة شيء آخر[٥] . وقد سبقت الإشارة إلى تزيين القاهرة - أحيانًا - عند مرور السلطان بها في أثناء عودته من سرياقوس أو البركة إلى القلعة .

أما عن أبرز المظاهر الاجتماعية بسرياقوس والبركة التي يمكن للباحث أن يستخلصها من الإشارات القليلة للغاية المتصلة بهذا الجانب والتي وردت في مصادرنا التاريخية، فمنها البناء الاجتماعي لسكان هاتين الضاحيتين، حيث تكون من طبقة العرب، وأهمهم بنو صبره أحد أفخاذ قبيلة لخم، وقد أقطعهم الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م إقطاعات بسرياقوس[٦] .

---

(١) العيني: عقد الجمان جـ٤ ص٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٢) راجع ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٣١٥ ، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص١٢١، و٣٢٥ .

(٣) راجع ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ١ ص٨١، و٣٧٤ .

(٤) راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٣ ص١٠٩٥، وجـ٤ قسم ١ ص٤٢٦ ، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٤٧٤، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٦٦٢ .

(٥) راجع: ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص١٢١ .

(٦) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٦٨ .

وهؤلاء العرب من بني صبرة كانوا مقيمين بالبركة أيضًا، لهم إقطاعاتهم، وذكر المقريزي وجودهم بالبركة في عهده[١] . كما انتقل إلى سرياقوس بصفة خاصة مصريون من الصعيد[٢]، والشرقية[٣]، والغربية[٤] ، والقليوبية[٥] ، ومن القاهرة نفسها[٦] ، فضلاً عن أعداد كبيرة من خارج مصر من بلاد الهند[٧] ، ومن غيرها من بلاد العجم[٨] كانت لهم أملاكهم عند الخانقاه السرياقوسية[٩] بسرياقوس، كما نزلها وسكن بها بعض الدماشقة[١٠] ، والمغاربة[١١]. وبعض هؤلاء المتنقلين لسرياقوس المستقرين بها كان يعمل بالخانقاه، وبعضهم بطبيعة الحال عمل بالزراعة. كذلك كان لبعض المماليك أملاك بسرياقوس[١٢] . وعمل بعض سكان سرياقوس بالتجارة[١٣].

ويستخلص الباحث من المصادر التاريخية كثرة سكان سرياقوس؛ ففي أثناء طاعون سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م كانت سرياقوس تفقد في كل يوم نحو المائتين من

---

(١) راجع المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٦٣ .

(٢) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٧٨، وجـ٩ ص٢٤٨ ، والبقاعي: عنوان العنوان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب ص ١٨٠ .

(٣) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ١٠ ص٢ .

(٤) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٨٥-٨٦ .

(٥) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٨ ص٨٤ و ١٩٢ .

(٦) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٨ ص٢١٥ . والبقاعي: عنوان العنوان ص ١٩٧ و ٢٠٣ .

(٧) راجع ابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص٢٤٣، والسخاوي: الضوء اللامع جـ١٠ ص١٤٠-١٤١، والبقاعي: عنوان العنوان ص٣٤٧ .

(٨) راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٣٩، وجـ٣ قسم٢ ص ٤٦١ و٧٧١ ، وجـ٣ قسم٣ ص٩٦٨ . ودرر العقود جـ٢ ص٤١٥ و٤٧٣ وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٥٨و ٦٨ و٤١٢، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ١ ص٢٣٧، والنجوم الزاهرة جـ١٢ص٢٧١، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص٣١٦ .

(٩) راجع ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ١ ص٢٠٩، والسخاوي: الضوء اللامع جـ٦ ص٤٧ .

(١٠) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٦ ص١٠٨ .

(١١) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص٩٤ .

(١٢) راجع ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ و٢٦١ و٤٢٨ . كذلك كان لبعض الأمراء مناظر بسرياقوس. المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٨٨ .

(١٣) راجع ابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٣٤٨ .

الموتى[1] ، وهو ما حدث تمامًا في طاعون سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م من الموتى في كل يوم[2] . وعندما تزايد الوباء بلغ من يموت في اليوم بسرياقوس أكثر من ثلاثمائة نفر، ويقول المكثر أربعمائة[3] . كذلك فقد سبقت الإشارة إلى تضرر أهالي سرياقوس من سرحة السلطان للصيد بها لتحليقها على ما هناك من «اللحوم الكثيرة» مما يشير إلى كثرة سكانها[4] . ويدل على ذلك أيضًا تلقي الناس بسرياقوس سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م للسلطان المؤيد شيخ المحمودي حتى صار الطريق إلى خانقاه بسرياقوس «في تلك الأيام كالشارع الأعظم لمر الناس فيه ليلاً ونهارًا»[5] .

وعن عمل بعض قاطني سرياقوس والبركة بالزراعة، فإن هناك بعض إشارات عن السواقي في سرياقوس والبركة[6] ، وعن الأبقار التي تديرها[7] ، فضلاً عن البساتين والزراعات التي سبق الحديث عنها.

وقد شهدت سرياقوس والبركة قضاء لبعض سلاطين المماليك وأمرائهم للعيدين أو لأحدهما بإحدى الضاحيتين؛ بما انعكس بطبيعة الحال على الناس بهما؛ سعادة وفرحة، ونيلاً لبعض الخير من هؤلاء المماليك وممن أمضى العيد بسرياقوس من الملوك: الناصر محمد بن قلاوون الذي عيّد بها عيد الفطر سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م وكان معه أولاده ونساؤه[8] . والناصر أحمد بن محمد بن

---

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص٨٢٥، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص١٨٧، وراجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٤ ص ١٧٣، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٩ .

(٢) راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص١١٥ .

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص١١٥ .

(٤) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٨٤-٧٨٥ . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كان يتم في عصر سلاطين المماليك بمصر حصر لأملاك القاهرة وضواحيها، ولكانها. راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٩٨ .

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٧٥ . والشارع الأعظم هو شارع المعز لدين الله الفاطمي حاليًا .

(٦) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٢٦١ ، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٦ .

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٦ .

(٨) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٢٠ .

قلاوون الذي عيّد بها سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م عيد النحر[١] ، كذلك ضحّى السلطان الناصر حسن بسرياقوس سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م ولم يدخل القاهرة بسبب الوباء الذي انتشر بها في هذه السنة[٢] . وشهدت البركة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م قضاء الظاهر بيبرس للعيد بها، ومكث بها حتى السادس من شوال[٣]. كما نزل بها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م وصلى صلاة عيد الفطر بها، ومد له سماط عظيم، وخرج الناس جميعًا لمشاهدته[٤] .

وشهدت سرياقوس خاصة بعض الأمراض الاجتماعية من بعض المماليك في بعض مرات قليلة، وكان سلاطين المماليك لها بالمرصاد[٥] .

ومما سبق تبين لنا الأهمية الاجتماعية لسرياقوس والبركة، وبعض مظاهرها وبعض جوانب اجتماعية سمحت مصادرنا التاريخية بذكرها.

رابعًا: الحياة العلمية والدينية بسرياقوس والبركة:

انعكس النشاط العلمي الذي عرفته مصر في عصر سلاطين المماليك على ضواحي القاهرة عامة، وعلى سرياقوس والبركة خاصة؛ فشهدتا ما شهدته مصر خلال هذا العصر من إنشاء للمساجد والزوايا والمدارس، ومن ظهور لبعض أساطين العلم وأعلامه في بعض علوم الدين، اقتضت الضرورة بطالبي هذا العلم بالتوجه إلى هؤلاء الأثبات للأخذ عنهم والتلقي عنهم مباشرة؛ وهذا هو ما جعل العالم الكبير والمؤرخ العظيم السخاوي يتوجه إلى سرياقوس لقراءة

---

(١) راجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٩٦ .

(٢) السخاوي: وجيز الكلام جـ١ ص١١٣ .

(٣) المقريزي: السلوك جـ١ قسم٢ ص٤٥٩، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص١٩، والنجوم الزاهرة جـ٧ ص١٠٣ .

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية ص٢٠٣، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٧٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٣١ .

(٥) راجع ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٣١١، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٨٩ و٧٠٣، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٣٥٠ .

العلم على بعض أعلامها، وللتلقي على أساطينها[1] . كذلك جرى بسرياقوس والبركة بحث العديد من مسائل العلم في محاولاته المختلفة بين أهل ذلك العلم، كما حدث بسرياقوس والبركة تعليم الصغار وتأديبهم على أيدي شيوخ العلم، إلى غير ذلك من مظاهر الحياة العلمية والدينية التي ظهرت بهاتين الضاحيتين من ضواحي القاهرة.

ولعل خانقاه سرياقوس من أبرز المنشآت الدينية التي بدئ في إنشائها بسرياقوس سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م واحتفل بافتتاحها بعد عامين من الشروع في الإنشاء، وكان الناصر محمد بن قلاوون قد عيّن موضع بناء الخانقاه، واستشار فيه عدة من المهندسين، وطلب أن تكون الخانقاه متسعة لمائة خلوة صوفية، وأن يبنى بجانبها مسجد تُقام به الجمعة، ومكان للضيوف الواردين، وحمام، ومطبخ. وفي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م كمل ما أراد السلطان من بنائها، وخرج إليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشائخ الخوانك، ومدت هناك أسمطة عظيمة بداخل الخانقاة، من الأطعمة اللذيذة والأشوية، والحلويات، والمشروب، وتصدر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي لإسماع الحديث النبوي، وقرأ عليه ابنه القاضي عز الدين عبدالعزيز أحاديث عديدة، وسمع السلطان ذلك، وأجاز قاضي القضاة الملك الناصر ومن حضر برواية ذلك، وجميع ما يجوز روايته. وعندما انقضى مجلس السماع، قرر السلطان في مشيخة هذه الخانقاه الشيخ مجد الدين مرسي ابن أحمد الأُقصراي[2] ولقبه بشيخ الشيوخ، فصار يقال له ذلك، ولكن من ولي بعده، وكان قبل ذلك لا

---

(١) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص٩٤و٩٥ . وعن زيارة السخاوي لسرياقوس قبل سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، راجع أيضًا جـ٦ ص١٠٨، ووجيز الكلام جـ٢ ص٧١٠ .

(٢) هو مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي شيخ الشيوخ، المتوفى سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م بخانقاه سرياقوس. المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٢ ص٥٠٥، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٣٩ . وذكر محمد رمزي في تعليقاته على النجوم الزاهرة طبعة دار الكتب جـ٩ ص٨٤ (هامش رقم ٢) أن الأقصرائي منسوب إلى أقصرا ببلاد الروم (آسيا الصغرى) بين قونية وقيسارية.

يلقب بشيخ الشيوخ إلا شيخ خانقاه سعيد السعداء[1] ، فلقب بهذا اللقب شيخ خانقاه سرياقوس[2] .

وقد خلع السلطان على قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وعلى ابنه وعلى القضاة والشيوخ وسائر الأمراء، وأرباب الوظائف، وفرّق على الفقراء ستين ألف درهم فضة[3] .

ووقف على الخانقاه أوقافًا كثيرة يفضل ريعها عن كفايتها[4]، تمثلت في وقف العديد من الدور الكائنة خارج بابي زويلة والخرق[5] في خط قناطر السباع[6] وخط

(١) خانقاه سعيد السعداء كانت تعرف في أول عهدها بدار سعيد السعداء نسبة إلى أحد خدام القصر الفاطمي وعتيق الخليفة المستنصر الفاطمي، ويعرف هذا الخادم بعنبر وقتل سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، ولأن هذه الدار كانت مقابل دار الوزارة فإن عددًا من الوزراء الفاطميين سكنوها ومنهم العادل رزيك وشاور. ولما استقل صلاح الدين يوسف بمصر بعد موت الخليفة الفاطمي العاضد ٥٦٧هـ/ ١١٧١م جعلها دارًا للفقراء الصوفية الواردين من البلاد المختلفة، ووقفها عليهم سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، فكانت أول خانقاه عملت بمصر، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ. راجع المقريزي: الخطط جـ٢ ص٤١٤ . وذكر محمد رمزي في تعليقاته على النجوم الزاهرة طبعة دار الكتب جـ٩ ص١٤٨ هامش (١) أن هذه الدار تعرضت لعدة تغييرات في مبانيها بعد ذلك، فصارت بشكلها الحالي مسجدًا يعرف اليوم بجامع سعيد السعداء بشارع الجمالية بالقاهرة.

(٢) راجع فيما مضى ابن أيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٣١٥، والنويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٣-١٨٤، وابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور بنيه جـ٢ ص١٤٩-١٥٠، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٢٦١ و٢٦٢، والخطط جـ٢ ص٤٢١، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ١ ص١٩٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٦ - ٦٧ وص٦٨ و١٣٨ و١٣٩، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٥٤-٤٥٥ .

(٣) راجع النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٤، وابن حبيب: تذكرة النبيه جـ٢ ص١٥٠، والمقريزي: السلوك جـ٢ قسم١ ص٢٦٣، والخطط جـ٢ ص٤٢١ .

(٤) النويري: نهاية الأرب جـ٣٣ ص١٨٣، وراجع: ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٥٥، وقد استمرت متابعة أوقاف الخانقاه السرياقوسية. راجع السخاوي: وجيز الكلام جـ٣ ص٩٩٣ .

(٥) أي باب الخلق. محمد رمزي: النجوم الزاهرة جـ٦ طبعة دار الكتب المصرية تعليقات محمد رمزي ص٤٣٤ .

(٦) قناطر السباع من القناطر التي كانت على الخليج الكبير، وأنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م ونصب عليها سباعًا من الحجارة فعرفت بقناطر السباع لأجل ذلك، وقد وسعت هذه القناطر في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م . المقريزي: الخطط جـ٢ ص١٤٥-١٤٦ . ويذكر محمد رمزي في «النجوم الزاهرة» طبعة دار الكتب المصرية جـ٧ ص١٩١ هامش (٥) أن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصري وعرفت باسم قنطرة السيدة زينب كما شاهدها بنفسه، واختفت هذه القنطرة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م تحت ميدان السيدة زينب.

قناطر آق سنقر[١] ، والمنطقة المحيطة بهذين الخطين[٢] . وتضمن كتاب وقف[٣] السلطان الناصر محمد بن قلاوون على خانقاه سرياقوس ما كان يصرف لكل صوفي في اليوم من لحم الضأن، ومن الخبر، والأرز، والخضروات، والدقيق، والزبيب، والفلفل، والسكر، ومن الحلوى والفواكه، وغيرها، ومن الصابون، إضافة إلى مبلغ أربعين درهمًا في كل شهر[٤] ، وثمن كسوة في كل سنة، وتوسعة في كل شهر رمضان، وفي العيدين، وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء»[٥]. واحتوى كتاب الوقف على ضرورة الاهتمام بكنس الخانقاه وتنظيف بسطها، ويقوم بذلك فراشون يختارهم شيخ الخانقاه، ويقوم هؤلاء الفراشون أيضًا بإضاءة مصابيح الخانقاه، وتوفير وقود المصابيح[٦]. وبالخانقاه طبيب وجرَّاح وكَحَّال- من غير الصوفية - مقيمون بها، ويصرف لكل منهم ستون درهمًا شهريًا وطعام في كل يوم، كما تضم خزانة الخانقاه الأدوية المختلفة[٧] . وبها أيضًا خدام للصوفية وطباخون وبوابون للخانقاه[٨] .

---

(١) قنطرة آق سنقر كانت على الخليج الكبير وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الأمير آق سنقر شاد العمائر السلطانية في أيام الناصر محمد بن قلاوون.

(٢) راجع دراسة محمد محمد أمين لوثيقة وقف الناصر محمد لخانقاه سرياقوس المنشورة في «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» جـ٢ ص٣٨٧ .

(٣) راجع دراسة محمد محمد أمين لوثيقة وقف الناصر محمد في المصرد السابق جـ٢ ص٣٨٦-٤٤٨ ، وراجع المقريزي: الخطط جـ٢ ص٤٢١ - ٤٢٢ .

(٤) زيد في هذا المبلغ حتى وصل إلى ستين درهمًا قبل سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وكان شيخ خانقاه سرياقوس ينفقها في الواردين عليها على ما شرطه الواقف. ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ١ ص١٤٦ .

(٥) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون التي نشرها محمد محمد أمين في ملاحق «تذكرة النبيه» جـ٢ ص٤٠٦-٤٠٧ و٤٠٨ و٤١٠ و٤١٢، و٤١٤، و٤٣٩، و٤٤٠ و٤٤٥ . والمقريزي: الخطط جـ٢ ص٤٢١-٤٢٢ .

(٦) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون السابقة ص٤١١ .

(٧) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون السابقة ص٤٣٩-٤٤٠، و٤٤٣ ، وراجع المقريزي: الخطط ج٢ ص٤٢١ - ٤٢٢ .

(٨) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون السابقة ص ٤١١، و٤١٢، و٤١٣، و٤٤١ .

ونصت حجة الوقف على أنه من مات من الصوفية المقيمين بها أو الواردين عليها وهو فقير، فإنه يجهز ويكفن من ريع وقف الخانقاه، ويدفن بمقبرة ملحقة بها[1] .

وبحمَّام الخانقاه حلاق لتدليك أبدان الصوفية وحلق رؤوسهم «فكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شيء غيرها، ويتفرغ للعبادة، ثم استجد بعد سنة تسعين وسبعمائة بها حمام أخرى برسم النساء»[2] .

وبعد إنشاء خانقاه سرياقوس رغب الناس في السكنى حولها، وبنوا الدور والحوانيت والخانات، حتى صارت بلدة كبيرة عامرة تعرف بخانقاه سرياقوس[3]، وتزايد الناس بها حتى أنشئ فيها سوى حمام الخانقاه عدة حمامات، وجرت العادة أن تقام سوق عظيمة في يوم الجمعة من كل أسبوع عند الخانقاه، ترد الناس إليه من الأماكن البعيدة ويباع فيها الخيل والجمال والبقر والغنم والدجاج والأوز، وأصناف الغلات وأنواع الثياب وغير ذلك «ولا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الأصناف احترامًا لمكان الخانقاه»[4] .

وكانت مشيخة الخانقاه السرياقوسية[5] من الوظائف الدينية

---

(١) حجة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون السابقة ص ٤٠٤، و٤٠٨ .

(٢) المقريزي: الخطط جـ٢ ص٤٢٢ وتحدث المقريزي عن عبادة الصوفية، وأورد شعرًا في الخانقاة . وراجع وصف ابن تغري بردي لهذه البلدة المنشأة بأنها صارت مدينة عظيمة. ابن تغري: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٣٩، وراجع ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٤٥٥ .

(٣) والبلدة الكبيرة التي ذكرها المقريزي في عصره ووصفها هي مدينة الخانكة اليوم بمحافظة القليوبية .

(٤) المقريزي: الخطط جـ٢ ص٤٢٢ .

(٥) ذكر المقريزي في حوادث سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م ، السلوك جـ٣ قسم١ ص٢٧٣ - ٢٧٤، ونقل عنه ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٢ ص٥١ أنه قد تلقب في هذه السنة بلقب شيخ الشيوخ عبيد الله القرمي شيخ المدرسة الأشرفية التي بناها الأشرف شعبان سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م - وأقيم مكانها المسجد المؤيدي الآن بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة- وأبطل هذا اللقب من متولي مشيخة خانقاه سرياقوس. وهذا الإبطال الذي ذكره المقريزي ليس صحيحًا بدليل أنه عاد بعد ذلك ولقب شيخ خاناة سرياقوس بشيخ الشيوخ. راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٣٩ وقسم٢ ص٤٤٠ و٤٦١، وقسم ٣ ص٩٦٨ و٩٩٨ و١٠٢٤، وابن حجر : إنباء الغمر ج٤ ص١٨ . وراجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٢٨=

الجليلة[1] ، ويلقب صاحبها بالمجلس العالي، الشيخي الكبيري العالميّ العامليّ السالكيّ، الأوحدي، الزاهدي، العابديّ، الخاشعي، الناسكيّ، المفيديّ، الإماميّ، النظاميّ، الملاذيّ، جلال الإسلام المسلمين، شرف الصلحاء في العالمين، شيخ شيوخ الإسلام، أوحد العلماء في الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين[2] ، وقد حظيت خانقاه سرياقوس بزيارة العديد من سلاطين المماليك[3] - حتى عصر السلطان الغوري- وأمرائهم[4] لحضور بعض حلقات العلم أو الذكر، أو للإقامة بها بعض الوقت أو بعض الأيام.

= وجـ١٦ ص٧٦، والمنهل الصافي جـ١ ص٢٣٧ وجـ٢ ص٣٦٢، وابـن قاضي شهبـة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٦٨، وابـن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٥٤٤ و٥٦٧ ، وجـ١ قسم٢ ص٧٩٩ . هذا ولم يذكر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١١ ص٥٦-٥٧ خبر إبطال لقب شيخ الشيوخ عن شيخ خانقاه سرياقوس، بل ذكـر أن السلطان الأشرف شعبان خلع على الشيخ القرمي شيخ شيـوخ المدرسة التي أنشأها السلطان. كذلك لم يذكر ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص١٧٤ . إبطال هذا اللقب عن شيخ خانقاه سـرياقوس، وإنما ذكـر منح السلطان لشيخ مدرسته لقب شيخ الشيوخ، وأنه هو أول من تلقب بشيخ الشيوخ. وأقول: كلام ابن إياس يعني أول من تلقب بشيخ الشيـوخ بمدرسة الأشرف شعبان، وهو كلام ابن تغري بردي نفسه. وقد مـرت إشارات ذكر المقريزي لشيخ خانقاه سرياقـوس بشيخ الشيوخ، بل إنه في سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م نعت الشيخ أحـمد بن نظام الدين إسحاق شيخ خـانقاه سرياقوس بشـيخ الإسلام، شيخ الشيوخ. المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص٤٤٠ وراجع درر العقود الفريدة جـ٢ ص٤١٥، ٤٧٣ .

(١) راجع القلقشندي: صبح الأعشى جـ٤ ص٣٧ و٣٨. ويذكر هنا أن الصوفي بخانقاه شيخون بشارع شيخون بقسم الخليفة الآن بالقاهرة كان يتقاضى ثلاثين درهمًا، في حين أن الصوفي بخانقاه سرياقوس كان يتقاضى أربعين درهمًـا. راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٤ ص٣١٠ . وعن خـانقاه شـيخـون راجع المقريزي: الخطط جـ٢ ص٤٢٠ . والسخاوي: وجيز الكلام جـ١ ص٨١ .

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٦ ص١٦٣، وراجع ثبتًا في آخر هذا البحث بشيوخ خانقاه سرياقوس.

(٣) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٢ ص ٤٨٩ وجـ٤ قسم١ ص٢٨٤، والعيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد «شيخ المحمودي» حققه فهيم شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة الذخائر (٩٢)، ص٣٤١، والسخاوي: وجيز الكلام جـ١ ص١٠٦ و٢٢٢، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٣٤٣ ، وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ١١ ص٥٦، وجـ١٣ ص ١٨٩ و١٩٠ ، و٢٠٩ ، والمنهل الصافي جـ٦ ص٣٠٣ ، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٤قسم١ ص٢٨٤ .

(٤) راجع المقريزي: السلوك ج٣ قسم٢ ص٩٢٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٥٩ و٧٦ ، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٤٥٨ .

وإذا كانت مشيخة خانقاه سرياقوس من الوظائف السنية في الدولة المملوكية[1]، فإن هناك وظيفة أخرى اتصلت بهذه الخانقاه، هي وظيفة: نظر الخانقاه التي يتولى صاحبها الأمور المالية في الخانقاه[2] يعاونه بعض الصيارفة[3] الذين يتولون قبض المال وصرفه.

وقد أثنت المصادر على علم وفقه وأمانة شيوخ مشيخة خانقاه سرياقوس[4] كما لم تشر إلى أي نقيصة خاصة لمتولي النظر فيها. وبعض شيوخ خانقاه سرياقوس كانوا على المذهب الشافعي[5] ، وبعضهم كان على المذهب الحنفي[6] ، وألف بعضهم كتبًا في الصوفية[7] ، وألف البعض الآخر كتبًا في الفقه باللغة التركية[8] ، ويذكر لأحدهم وهو الشيخ ركن الدين الملطي أنه أرسل من قبل السلطان الصالح إسماعيل سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م إلى الهند لتعليم ملكها ومسلميها الإسلام بدعوة من هذا الملك، فمكث هناك عشر سنين وتسعة أشهر، عاد بعدها إلى وظيفته شيخًا للخانقاه[9] .

---

(١) ذكر ابن إياس في: بدائع الزهور جـ٢ ص٣٥٣ أن الوظائف السنية في الدولة المملوكية عديدة منها: نظر الجيش وكتابة السر ومشيخة خانقاه سرياقوس.

(٢) راجع ثبتًا بمتولي هذه الوظيفة في آخر البحث.

(٣) راجع ابن حجر: إنباء الغمر جـ٣ ص٣٣١ .

(٤) باستثناء الشيخ أصلم الذي قيل عنه: إنه يشتغل بالسحر، فعزل عن وظيفته هذه سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م، وكان هو الساعي إليها. راجع ابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص٤٣٧ وجـ٢ ص٥٢ -٥٣ ، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٤٣٧ . كذلك استغل ابن أخي الشيخ الأقصرائي شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس ويدعى «أوحد» اعتماد عمه عليه سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م في بعض أمور خانقاه سرياقوس فصرف بعض أموالها في اللهو، فنفي إلى القدس ثم تاب. راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ١ ص١٤٦ .

(٥) راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم٣ ص١١٢٤ وجـ٤ قسم١ ص١٢٩ .

(٦) راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ قاضي شهبة جـ٣ ص٣١١، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٨٢٥.

(٧) راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٢ ص٣٢٢ .

(٨) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٧٦٧، وراجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٣١١ .

(٩) راجع المقريزي: السلوك جـ٢ قسم٣ ص٦٤٥ و ص٨٨٧ . ويذكر هنا أن آل تغلق كانوا يحكمون الهند وبخاصة في دهلي في هذه الفترة إذ فترة حكمهم هي: (٧٢٠-٧٩٩هـ/ ١٣٢٠-١٣٩٦م) وملك الهند المقصود هو محمد شاه الثالث (٧٩٢-٧٩٦هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٣م) راجع القلقشندي: صبح الأعشى ج٥ ص٨٨ - ٩١ ، وراجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ١ ص٣٦٤ .

وبالإضافة إلى خانقاه سرياقوس التي شهدتها هذه الضاحية، فقد أنشئ بها سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م جامع سودون[١] الذي أنشأه صاحبه الأمير سودون بن عبدالرحمن (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) نائب الشام، والذي عرف أيضًا بمدرسة العبد الرحمانية[٢] ، وكان بينها وبين باب الخانقاه السرياقوسية الناصرية ميدان كبير. وقد اختار الأمير سودون الشيخ يَار علي بن نصر العجمي[٣] (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م) شيخًا لهذه المدرسة[٤]، وكان له دار بسرياقوس[٥] بل إنه ابتنى الأملاك الكثيرة بها[٦].

واختصت سرياقوس بإنشاء مؤسسة دينية علمية أخرى - إلى جانب الخانقاه- وهي عمارة جامع ومدرسة الأشرف برسباي التي اكتمل بناؤها سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، وكانت مساحتها خمسين ذراعًا في خمسين ذراعًا، ورتب السلطان الأشرف في جامعه هذا إمامًا للصلوات الخمس، وخطيبًا، وقراء يتناوبون القراءة في المصاحف[٧] ووصفت هذه المدرسة بالمعظمة وبأنها لم يعمر

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٧، والمنهل الصافي جـ٦ ص١٥٦ وذكر أنه توجه مع الأمير سودون عند فراغها فكانت المدرسة في فلاة ولم يكن حولها من العمران إلاّ القليل، ثم عمر ما حولها على ما هو موجود قبيل وفاة ابن تغري بردي.

(٢) السخاوي : الضوء اللامع جـ٦ ص٤٧ - ٤٨، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٤٠ ، وهذا الجامع أو المدرسة (العبد الرحمانية) لايزال موجودًا، وتقام به الشعائر الدينية باسم سودون بن عبدالرحمن بالخانكة، بمحافظة القليوبية. محمد رمزي: النجوم الزاهرة جـ٩ طبعة دار الكتب هامش (١) .

(٣) الشيخ يَار علي بن نصر الله العجمي الخراساني الطويل كان أصله صوفيًا، وخدم الأمير سودون بن عبدالرحمن نائب الشام، ولما صار سودون دوادارًا كبيرًا في دولة الأشرف برسباي أحسن إلى الشيخ الطويل وجعله شيخًا لمدرسته بسرياقوس ودام على ذلك، وقد حسنت سيرته إلى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م فولاه حسبة القاهرة غير مرة، وقد توفى الشيخ الطويل سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص١٦٧ .

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٥ ص١٤٥ .

(٦) السخاوي: الضوء اللامع جـ٦ ص٤٧ - ٤٨ .

(٧) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص١٠٢١، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٣ ص٣٤٣، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٢٧٦، والنجوم الزاهرة جـ١٤ ص٢٦٧، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٣ ص٤٩٥، وابن شاهين: نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين،=

مثلها في الضواحي، وأنها غاية في الحُسْن[1] . وأوقف الأشرف برسباي عدة أوقاف على مدرسته هذه الجامعة[2] . وقد زاره الأشرف برسباي بعد إنشائه لمتابعة الحركة العلمية به[3] . وساهم هذا الجامع في زيادة العمران في تلك البقعة، فبنيت بها الدور الجليلة والأماكن الفاخرة، وسكن بها أعيان الناس[4] .

وقد استمرت المنشآت الدينية المستحدثة في سرياقوس ومنها القبة التي أنشأها بالخانكاه الأمير قانم[5] المتوفى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م . ومنها أيضًا الزاوية الواقعة خارج الخانقاه السرياقوسية والمنسوبة إلى محمد المنير[6] . والمدرسة التي أنشأها بالخانكاه السرياقوسية الشيخ محمد بن محمد النويري المالكي (ت٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، والذي ابتنى مدرسة بسرياقوس ووقف عليها ما كان في حوزته من أملاك[7] ، والمدرسة التي أنشأها بسرياقوس أيضًا الشيخ عبدالغني بن محمد الجوجري[8] (ت حوالي سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) .

وحظيت البركة كذلك بإنشاء زاوية كبيرة للجمعة والجماعات أقامها الشيخ

= مكتبة الثقافة الدينية ص١٣١، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١قسم ١ ص٤٥٥، وجـ٢ ص١٨٩ . ولايزال هذا المسجد قائمًا حتى اليوم بمدينة الخانكة بمحافظة القليوبية، بينما اندثرت الخانقاه السرياقوسية التي كانت واقعة - كما يقول محمد رمزي جـ٩ ص١٤٤، طبعة دار الكتب المصرية- في الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية بالخانكة التي كانت تعرف قديمًا خانقاه سرياقوس .

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٤ ص٢٦٧، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص١١٥، و١٨٩ .

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٣ ص٢٧٦ .

(٣) راجع المقريزي: السلوك جـ٤ قسم٢ ص١٠٢٣ وابن الصيرفي : نزهة النفوس جـ٣ ص٣٩٦ .

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم ١ ص٤٥٥ .

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٢ ص٤٤٣، ولم يشر إلى سنة الإنشاء، والأمير قانم كان مملوكًا للملك المؤيد شيخ، ثم أصبح أميرًا كبيرًا من خيار الأمراء بمصر، وقد وصل إلى منصب أتابك العساكر قبل وفاته كما ذكر ابن إياس في المصدر السابق.

(٦) راجع الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت جـ٢ ص٢٢٢ .

(٧) السخاوي: الضوء اللامع جـ٩ ص٢٤٨ .

(٨) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٤ ص٢٥٦ .

إبراهيم بن علي المتبـولي (ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) زارها الإمام السخـاوي والتقى فيها بالشـيخ المتبولي[١] الذي كان الناس يتزاحـمون عليه لصلاحه، ومـعروفه، وشفـاعته عند السـلاطين والأمراء التي لا ترد[٢] ، وكان هناك حـوض وسبيل وبستان متسـع يأوي الفقراء والصوفية والمنقطعين للعبادة من إنـشاء الأمير علان الأشقر[٣] (ت٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) إضافة إلى بستان آخر وساقية ماء وفسقية كبيرة من إنشاء الفقـيه القاضي زين الدين عبد البـاسط سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م بناحية البركة، وعظم الانتـفاع بهذه المنشآت[٤] . كما أنشأ السلطان الأشـرف قايتباي (سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) بـالقـرب من البـــركـة زاوية بـين المرج والزيات[٥] ، وحوضًا وسبيلاً «وجاء من أحسن البناء»[٦] .

وأبرز شـيـوخ هذه الزاوية الشـيخ قلج الرومي[٧] (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م). ويبدو أن السلطان الأشرف قـايتباي كان قد أنـشأ قبة باسمـه في المرج قريبًا من البركـة بدليل ما ورد عن وفـاة شيخ هذه القـبة الشيـخ محمـد البعقـوبي سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م وكان مقرئًا حافظًا[٨] . كما أن الفقيه عـبد الغني بن محمد المعروف بابن القصاص (ولد ٨١٥هـ/ ١٤١٢م) أقام بالبركة جامعًا، أَمَّ به الفقيه ابن الجيعان الناس، وعلَّمَ به الأيتام[٩] .

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع جـ١ ص٨٥-٨٦، وراجع: التبر المسبوك، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص٣٥٥، وابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٣٥٢ .

(٢) السخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٨٥-٨٦ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٨٨ و١٨٢ .

(٣) السخاوي: الضوء اللامع: جـ٥ ص١٥٠، وابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص١٨٢ .

(٤) المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ٢ ص٦٩٦، ويذكر هنا أنَّ هناك بستانًا آخر ببركة الحاج كان للملك الناصر محمد بن قلاوون، وورد ذكره في حوادث سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م. ابن أيبك: كنز الدرر جـ٩ ص٣٠٢ .

(٥) ذكر محمد رمزي في القاموس الجغرافي، القسم الثاني، الجزء الأول ص٣٩ أن هذه القرية فصلت عن المرج وعرفت باسم القلج نسبة إلى قلج الرومي شيخ زاوية السلطان قايتباي .

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص١٨١ و١٨٥ و٣٢٩ ، و٢٣٣ .

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص ٢٣٣، وذكر أنه لما مات قررت في مشيخة الزاوية امرأته، وعُدَّ ذلك من النوادر .

(٨) راجع السخاوي: وجيز الكلام جـ٣ ص١٢٠١ .

(٩) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٤ ص ٢٥٦ .

وشهدت سرياقوس والبركة وما حولهما من مناطق[1] نشاطًا علميًا عظيمًا خلال العصر المملوكي، شمل كافة العلوم الإسلامية، وتبوأ علماء كبار قمة هذه العلوم، فأسسوا مدارس علمية نهل منها الكثيرون، وقصدهم علماء أجلاء للتزود من علمهم، منهم العالمان المؤرخان: البقاعي[2] والسخاوي، والأخير منهما لقي غير واحد من العلماء بسرياقوس، وأخذ عن هؤلاء جميعًا علوم القراءات وغيرها[3]. وأبرز هؤلاء العلماء الأثبات الفقيه نور الدين أبو الحسن البوشي، ثم الخانكي الشافعي (ت٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) الذي انتفع بعلمه الكثيرون بسرياقوس، وأخذ عنه العديدون علم الفقه، «وكان فقيهًا خيرًا متواضعًا قانعًا باليسير على طريقة السلف»[4]. وقد قطن الخانقاه السرياقوسية في حدود سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م للاشتغال والإقراء والإفتاء، وهو ممن لقيه السخاوي وسمع منه[5]. ومن هؤلاء العلماء: محمد بن محمد بن محمد النويري المالكي (ت٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) الذي ابتنى بالخانقاه السرياقوسية مدرسة ووقف عليها ما كان في حوزته من أملاك، وكان شيخًا كبيرًا بها، واستحق ثناء كبار العلماء[6]. ومنهم: عبد الواحد بن عثمان المغربي الأصل السرياقوسي (ت٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) الذي نشأ بسرياقوس وحفظ القرآن الكريم، وأخذ العلم، وحدَّثَ، وسمع منه السخاوي العلم بسرياقوس، وقرأ عليه القرآن، وكان السرياقوسي مقدمًا في سرياقوس، مثل أبيه[7]. ومنهم: الفقيه المحدِّث المقرئ محمود بن

---

(١) مثل الخصوص على سبيل المثال ووردت أخبار عن شيوخها. راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٧٦.
ومثل: المرج وذكرت مصادرنا بعض شيوخها. راجع: السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص٢٦٧، وأخذ السخاوي عن الشيخ علي بن عمر المرجي القراءات القرآنية بها. وراجع البقاعي: عنوان العنوان ص ١٨٨.

(٢) البقاعي: عنوان الزمان جـ٢ ص١٤٨.

(٣) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٧٨ وجـ٦ ص١٠٨ وجـ١٠ ص١٤١.

(٤) السخاوي: التبر المسبوك ط المكتبة الأزهرية ص٤٠٦، وراجع أيضًا دوره العلمي وتلاميذه.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص١٧٨. وذكر أنه دفن في حوش بالقرب من الخانقاه السرياقوسية بعد موته سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م وأنه لم يكن هناك من قاضٍ أو محتسبٍ أو نحوهما إلا وهو كاف عن الأذى لأجله. وراجع البقاعي: عنوان العنوان ص ١٨٠.

(٦) السخاوي: الضوء اللامع جـ٩ ص٢٤٦ و٢٤٨.

(٧) البقاعي: عنوان العنوان ص١٧١، والسخاوي: الضوء اللامع جـ٥ ص٩٤ - ٩٥.

علي بن عبد العزيز الهندي الأصل الخانكي الشافعي، الذي وُلِدَ بالخانقاه الناصرية محمد بن قلاوون سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، ونشأ بها، فقرأ القرآن على جماعة وتلاه بالقراءات السبع على شيخ الخانقاه الشمسي القليوبي، وأذن له في الإقراء، وقرأ عليه البخاري، فتصدر في القراءات والإمامة بمدرسة سودرن بن عبدالواحد بسرياقوس، ويذكر السخاوي أنه قرأ عليه أشياء عديدة بعد أن لقيه مرارًا، ويصفه بأنه كان إمامًا فاضلاً[١] ، وتوفي هذا العلم الهندي الخانكي سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م. ومنهم: الشيخ عمر بن علي بن غُنيم الدمشقي الأصل الخانكي المولد (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) الذي لقيه السخاوي وتلقن منه الذكر، والذي بنى زاوية له في قرية «نبتيت» بالقرب من خانقاه سرياقوس فقطنها فترة يعلم العلم في زاويته، ثم انتقل قبيل وفاته في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م إلى الخانقاه السرياقوسية، وبنى زاوية له بشرقيها[٢] .

ومن علماء الخانقاه بسرياقوس أيضًا: يوسف بن علي بن نصر الله الخانكي الحنفي (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) بالخانكاه[٣] ، ومحمد بن محمد بن عثمان المصري الخانكي الشافعي المعروف بالونائي (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) الذي قطن الخانقاه وأخذ فيها الفقه وغيره من عالمها البوشي، وأخذ العربية وغيرها عن أبي القسيم النويري، وسمع على محمود الهندي وجوَّد عليه القرآن الكريم، ثم تولى الونائي التدريس بالخانقاه، واجتمع الناس على الثناء عليه[٤] . ومنهم: يحيى بن أحمد بن عبد العليم الخانكي الشافعي (ت ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) أحد صوفية الخانقاه وأحد علمائها[٥] .

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع جـ١٠ ص١٤٠-١٤١ . وعن هذا العالم وجهوده العلمية راجع السخاوي : وجيز الكلام جـ٢ ص٧٤٢، والبقاعي: عنوان العنوان ص ٣٤٧ .

(٢) السخاوي: الضوء اللامع جـ٦ ص١٠٨، ووجيز الكلام جـ٢ ص٧٥٧ .

(٣) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ١٠ ص٣٢٦ .

(٤) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٩ ص١٣٩-١٤٠، وراجع ص ٢٩٥ .

(٥) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ١٠ ص٢١٧ .

وغير هؤلاء كثيرون[1] أثروا الحياة العلمية بسرياقوس إثراء كبيرًا، امتد إلى الأطفال بضاحية سرياقوس؛ فاهتم بهم بعض الفقهاء وأقرؤهم القرآن الكريم وعلموهم مبادئ القراءة والحساب، وممن فعل ذلك من الفقهاء: الفقيه عمر بن محفوظ بن حسن الأزهري[2] (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، والفقيه علي بن محمد ابن ناصر الشافعي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) الذي كان من الصالحين[3]، والفقيه محمد بن عبدالله بن محمد الغمري الخانكي (ت قبيل ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) الذي أدب الأطفال كالفقهاء السابقين بسرياقوس[4].

وبالمثل كانت الحياة العلمية بالبركة نشاطًا وازدهارًا، واهتمامًا بالأطفال أيضًا، وكان جامع المتبولي بها مركز هذه الحركة العلمية النشطة، ومن أبرز العلماء الذين درسوا العلم في جامع المتبولي بالبركة العالم البرهان العجلوني الذي نزل البركة «برسم إقراء الطلبة»، وكان السخاوي قد زار جامع المتبولي والتقى بالشيخ إبراهيم بن علي المتبولي وشاهد السخاوي بنفسه ازدحام الناس على الشيخ المتبولي قائلا: «وكنت ممن زرته وملت مع محبيه»[5]. ومن العلماء أيضًا الذين نشروا العلم بالبركة خطيب المسجد محمد بن أحمد بن محمد الطيبي (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) الذي أثنى على حسن خطبه وعلى قبوله لدى الناس[6].

---

(١) راجع عنهم ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص١٤٣، وحوادث الدهور جـ٢ ص٤٧٥ و١٢٠١، والبقاعي: عنوان العنوان ص١٧١، ١٧٤، ٢٢٨، وعنوان الزمان جـ٢ ص٢٨. والسخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص١٤-١٥ جـ٨ ص٨٤، ص٢١٠، و٢١٥، ١٩٢، وجـ٩ ص١٣٦، و٢٣١، و٢٤٨، و٢٦٧ وجـ١٠ ص٥٢. ووجيز الكلام جـ١ ص١٦٧. وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم ٢ ص٢٣٢ و٣١٦. ويذكر هنا أن بعض الكتاب المشهورين في عصر المماليك كانوا قد نشأوا بخانقاه سرياقوس. ومنهم: الكاتب محمد بن علي ناصر الدين الطوسي المصري الكاتب (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م). راجع ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٤١٢.

(٢) البقاعي: عنوان العنوان ص ٢٠٣.

(٣) البقاعي: عنوان العنوان ص١٩٧.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع جـ٨ ص١١٥.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٨٥، وراجع ص ٨٦.

(٦) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٧ ص١٠٣.

ومنهم العالم الفقيه عبد الغني بن محمد بن حامد المعروف بابن القصاص (ولد سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م) الذي حفظ القرآن الكريم والقراءات، ودرس الفقه والعربية واستقر المقام في تعليم الأيتام بالجامع الذي أنشأه العلم بن الجيعان بالبركة، والإمامة بهذا الجامع[١] . كما كانت هناك مناقشات ومحاورات علمية بين الحجاج في طريقهم للحج[٢] .

هذا ولدينا إشارات خاصة بمنصب القضاء وبمن تولاه من القضاة في سرياقوس خاصة. ومن هؤلاء القضاة بها: القاضي محمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (ت٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)[٣] ، والقاضي صلاح الدين المكيني (ت٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)[٤] ، والقاضي محمد بن محمد بن عثمان (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، وتولى قبيل سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) قضاء سرياقوس[٥] . والقاضي محمد بن علي بن محمد الخانكي (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) الذي تولى قضاءها[٦]، وغيرهم من قضاة ورد ذكرهم ضمن قضاة سرياقوس[٧] .

ومما سبق يتبين لنا مدى ازدهار الحياة الدينية والعلمية بسرياقوس والبركة في عصر سلاطين المماليك .

وخلاصة القول:

إنَّ ضاحيتا سرياقوس والبركة من أهم ضواحي القاهرة في عصر سلاطين المماليك؛ لدورهما السياسي والاقتصادي والديني بصفة خاصة، وهما يتشابهان تمامًا في الأدوار التي قامتا بها في عصر سلاطين المماليك؛ الأمر الذي فرض

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع جـ٤ ص٢٥٦ .

(٢) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٢ ص١٠ .

(٣) راجع السخاوي: الضوء اللامع جـ٩ ص٢٦٧ .

(٤) راجع السخاوي: الذيل على رفع الإصر ص٩٥ وراجع ص ٩٤ .

(٥) السخاوي: الضوء اللامع جـ٩ ص١٣٩ - ١٤٠، وراجع جـ٥ ص١٧٨ وجـ٦ ص١٠٨ .

(٦) السخاوي: الضوء اللامع جـ٦ ص١٠٨ .

(٧) راجع كذلك ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٣١١ - ٣١٢ .

تناولهما معًا في بحث واحد، كما أن هناك ترابطًا كبيرًا بينهما في فترة البحث، فسلاطين المماليك كانوا يتنقلون بينهما[1] ؛ لمتابعة الأحوال السياسية والأمنية[2] بهما، باعتبارهما المدخل الرئيسي للقاهرة من الناحية الشمالية الشرقية، ولأهميتهما الاجتماعية والاقتصادية للدولة المملوكية. وقد حظيت سرياقوس والبركة بزيارة بعض المؤرخين الكبار في الدولة المملوكية لأغراض مختلفة، فالضاحية الأولى زارها الصفدي وابن تغري بردي والبقاعي[3]، والضاحية الثانية والأخيرة زارها المقريزي والسخاوي، وجاءت كتابات هؤلاء المؤرخين في غاية الأهمية عن هاتين الضاحيتين اللتين لم تحظيا بالبحث والاهتمام على الرغم من أهميتهما وباقي الضواحي في مصر في عصر سلاطين المماليك .

***

(١) راجع المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص ٢٧٤ وجـ٤ قسم١ ص٥٠٦ وجـ٤ قسم ٢ ص١٠٢٣، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ١ ص٨٠ وجـ٦ ص٢٤١، والنجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٦، وجـ١١ ص٥٦ . وابن الصيرفي : نزهة النفوس جـ٣ ص٣٩٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص١٧٤ .

(٢) يضاف إلى ما سبق ذكره في هذا البحث أن سلاطين المماليك كانوا يعينون خفراء بسرياقوس لحفظها من المفسدين. راجع البقاعي: إظهار العصر، القسم الثاني ص ٧٨ و٨٠ .

(٣) يذكر هنا أن المؤرخ البقاعي تزوج سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م بالخانقاه الناصرية وحضر هذا الحفل كثير من أعيان القاهرة من القضاة والفقهاء والأمراء وغيرهم من رجال الدولة المملوكية، بل من طلبة العلم أيضًا، وهو أول نكاح حضره أعيان القاهرة بالخانكة، وقام بضيافة الأعيان نيابة عن البقاعي، ناظر الخانقاه : المحب بن الأشقر، وقد اجتمع أعيان هذه الضاحية من الرجال والنساء لحضور هذا الاحتفال. البقاعي : إظهار العصر، القسم الثاني ص ٢٠-٢١ .

جـــدول بأســـمـــــاء
شيوخ مشيخة الخانقاه السرياقوسية

اســـم الشـــيخ	تاريخ التولية أو الوفاة	المصـــــــدر
مجد الدين موسى الأقصرائي	(تولاها ٧٢٥ - ٧٤٠هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٩م)	المقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم١ ص٢٨٧ و٤٨٩ وجـ٢ قـسم٢ ص٥٠٥ . وابن تغـري بردي: النجـوم الزاهرة جـ٩ ص ٦٨ و١١١ وجـ١٢ ص ٣٣٩ .
الركن الملطي	(تولاها ٧٤٠-٧٤٣هـ/ ١٣٣٩م - ١٣٤٢م)	المقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم٢ ص ٤٨٩ وجـ٢ قـسم٣ ص٧٦٧ . وابن تغـري بردي: النجوم الزاهرة جـ٩ ص١١١ .
صدر الدين الكازاتي	(ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)	المقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم ٣ ص٧٦٧، وابن قـاضي شـهـبـة: تـاريخ ابن قـاضي شهبة جـ١ ص٦٥٦ .
الركن الملطي (مرة أخرى)	(تولاها ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)	المقـريزي: السلوك جـ٢ قـسم٢ ص٨٨٧، وجـ٢ قسم ٣ ص٨٩٨ .
أحمد بن سلامة المقدسي	(ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)	المقـريزي: السلوك جـ٣ قـسم ١ ص١٦٣، وابن قـاضي شـهـبـة: تـاريخ ابن قـاضي شهبة جـ٢ ص٣٢٢ .
إسحاق بن عاصم الهندي (نظام الدين)	(ت٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)	المقـريزي: درر العـقـود الفـريـدة جـ٢ ص٤٧٣ وابن حـجـر: إنبـاء الغـمـر جـ١ ص٢٤٣، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص ٥٨ و٦٨ ، وابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٢ ص٣٦٢، والنجـوم الزاهـرة جـ١١ ص١٧٧ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٢٣٢و٣٠٠ .

اسم الشيخ	تاريخ التولية أو الوفاة	المصدر
أحمد بن نظام الدين (جلال الدين)	(تولاها ٧٩٣-٧٩٤هـ/ ١٣٨١-١٣٩١م)	ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات جـ٩ ص٨٢ والمقريزي: السلوك جـ٣ قسم٢ ص ٤٤٠، ودرر العقود جـ٢ ص٤١٥، وابن حجر: إنباء الغمر جـ١ ص٢٣٢ و٤٣٧، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٣ ص٥٨، وابن الضيرفي: نزهة النفوس جـ١ ص٣٤٧، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم ٢ ص٢٨٦ .
الشريف فخر الدين	(تولاها ٧٩٤- ٨٠١هـ/ ١٣٩١-١٣٩٨م)	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٢ ص٧٧١، وابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ١ ص٣٤٨ .
أحمد بن نظام الدين (مرة أخرى)	(تولاها ٨٠١ -٨٠٢ هـ/ ١٣٩٨-١٣٩٩م)	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص٩٦٨ وص١٠٢٤ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٥٢-٥٣ وص١١٣، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص١١٣ . وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٢٧١، والمنهل الصافي جـ١ ص٢٣٧، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص١٨، والسخاوي: الضوء اللامع جـ١ ص٢٦٦ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم ٢ ص٥٦٧، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٧ ص١٤

اسم الشيخ	تاريخ التولية أو الوفاة	المصدر
أنبيا التركماني	(تولاها وتوفي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص٩٩٨ وص١٠٢٤ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٩٨، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٧٩ . وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٤٣-٤٤.
حسن الآملي	(تولاها ٨٠٤هـ-٨٠٥هـ/ ١٤٠١-١٤٠٢م) .	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص١٠٨٧ وص١٠٩٧ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٢٠٢، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٤ ص٣١٩ ، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٦٦٥ .
أنبيا التركماني (مرة أخرى)	(تولاها٨٠٥هـ- ٨٠٦هـ / ١٤٠٢-١٤٠٣م)	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص١٠٩٧ وص١١٢٤ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٢٣٥، وابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة جـ٢ ص٢٣٥ ، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٦٦٤ .
شمس الدين محمد القليوبي	(تولاها ٨٠٦-٨١٢هـ/ ١٤٠٣-١٤٠٩م)	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم ٣ ص١١٢٤ وجـ٤ قسم١ ص١١١ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٤٣٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣ ص١٢٨ . والسخاوي: الذيل على رفع الإصر ص ٢٦٩، والضوء اللامع جـ٨ ص ٨٤ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٦٨٨ .

اسم الشيخ	تاريخ التولية أو الوفاة	المصدر
شهاب الدين أحمد بن أوحد	(تولاها ٨١٢-٨١٥هـ/ ١٤٠٩-١٤١٢م)	المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص١١١ ، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٤٣٢ وص٥١٣، والسخاوي: الذيل على رفع الإصر ص٢٦٩، وابن الصيرفي: نزهة النفوس جـ٢ ص٢٥٦، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٨٢٥ .
محب الدين محمد بن الأشقر	(تولاها ٨١٥-٨٣٩هـ/ ١٤١٢-١٤٣٥م)	المقريزي: السلوك جـ٤ قسم ١ ص٢٣٢، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٥١٣، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٨٢٥ .
شهاب الدين أحمد بن الأشقر	(تولاها ٨٣٩-٨٦٣هـ/ ١٤٣٥- ١٤٥٨م)	ابن حجر: إنباء الغمر جـ٤ ص١٨، وابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٤٢٧، و النجوم الزاهرة جـ١٦ ص١٧٦ .
ولم تذكر المصادر أحداً من شيوخها بعد ذلك		

جدول بأسماء
نظام الخانقاه السرياقوسية

اسم الناظر	تاريخ التولية أو الوفاة أو الإعفاء	المصدر
الأمير آقتمر الحنبلي	تولاها ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص١٧١
الأمير أيتمش البجاسي	أعفي منها ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م	المقريزي: السلوك جـ٣ قسم١ ص٣٧١ ، وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٢٥١ .
الأمير مأمور القلمطاوي الحاجب	تولاها ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م	المقريزي: السلوك ج٣ قسم١ ص٣٧١ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم٢ ص٢٥١ .
الأمير شاهين السعدي	ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م	المقريزي: السلوك جـ٤ قسم١ ص٢٥ . وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ ص٧٥٦ .
الأمير فيروز الخازندار الرومي	ت٨١٤هـ/ ١٤١١م	ابن حجر: إنباء الغمر جـ٢ ص٥٠١ .
الأمير دَمَشْبُغا بن عبدالله	ت٨٣١هـ/ ١٤٢٧م	ابن حجر: إنباء الغمر جـ٣ ص٤١٢ .
الأمير أقبغا	٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م	ابن حجر: إنباء الغمر جـ٤ ص١٤٧، والسخاوي: الذيل على رفع الإصر ص٢٧٤ .
الأمير أزبك التمرازي	تولاها ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٤٣٥ .
القاضي محب الدين بن الأشقر	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٤٣٦ .
الأمير تمراز الإيتالي	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٤٥٦ .
القاضي محب الدين بن الأشقر	تولاها ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	ابن تغري بردي: حوادث الدهور جـ٢ ص٤٥٦ والبقاعي: إظهار العصر، القسم الأول ص٤٤٠ .
الأمير خير بك الدوادار	تولاها ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٦ ص ٣٤٤
علي بن عبد الحق	كان متوليًا لها سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م	السخاوي: وجيز الكلام جـ٣ ص١١٧٤ .
بركات بن موسى	أعفي منها ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م	ابن إياس: بدائع الزهور جـ٤ ص١٤٤ .

قائمة المصادر والمراجع *

أولاً: الوثائق:

١- **وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون لخانقاه سرياقوس.** نشرها محمد محمد أمين، ملحقة بالجزء الثاني من كتاب «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» للحسن ابن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م .

ثانيًا: المصادر:

٢- **الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت في القرن السادس الهجري):** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣- **ابن إياس (محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):** بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤- **ابن أيبك (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م):** كنز الدرر وجامع الغرر جـ٩، تحقيق: هانس روبرت، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة .

٥- **البدليسي (شرف خان البدليسي ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م):** شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٢م.

٦- **ابن بطوطة (محمد بن محمد ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م):** رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، لبنان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

البقاعي (إبراهيم بن حسن ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م):

٧- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٨- عنوان العنوان أو المعجم الصغير، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(*) هذه المصادر والمراجع مرتبة ترتيبًا (ألف بائي) بحسب شهرة المؤلف، مع عدم اعتبار الزوائد مثل: ابن، وآل، وأب، وغيرها .

٩- إظهار العصر لأسرار أهل العصر، تحقيق: محمد سالم العوفي، هجر للطباعة والنشر ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٠- **بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ / ١٣٢٤م):** التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية .

ابن تغري بردي: (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

١٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وطبعة أخرى بتعليقات محمد رمزي، دار الكتب المصرية .

١٢- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٣- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق عدة محققين، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٤- **ابن جبير (محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):** رحلة ابن جبير .

١٥- **ابن الجزري (محمد بن إبراهيم ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م):** تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان .

١٦- **ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ / ١٣٣٧م):** تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٦م .

١٧- **ابن حجر (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):** إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

١٨- **ابن الحمصي (أحمد بن محمد ت ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م):** حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

١٩- **ابن خرداذبه (عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م):** المسالك والممالك، طبع في مدينة ليْدن، بمطبعة بريل ١٨٨٩م .

٢٠- **ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):** الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان .

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٣٩٦م):

٢١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٢٢- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عواد وعصام الحرستاني وأحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٢٣- التبر المسبوك في ذيل السلوك جـ١ وجـ٢، تحقيق نجوى مصطفى ولبيبة إبراهيم، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢٤- الذيل على رفع الإصر، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة .

٢٥- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):** حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

٢٦- **ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):** عيون التواريخ، جـ٢٠، وجـ٢١، تحقيق: نبيلة عبد المنعم وفيصل السامر، منشورات دار الثقافة والإعلام بالعراق، سلسلة كتب التراث (١٢٢) .

٢٧- **ابن شداد (عز الدين محمد بن علي ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م):** تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، نشر فرانز شتاير ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٢٨- **الصفدي (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):** الوافي بالوفيات جـ٨ تحقيق: محمد يوسف نجم ، و جـ١٠ باعتناء جاكلين سوبله وعلي عمارة، وجـ١٦ تحقيق: وداد القاضي وفرانز شتاير ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٢٩- **ابن الصيرفي (علي بن داود ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م):** نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية ١٩٧٠-١٩٧٤م، وجـ٤ سنة ١٩٩٤م .

٣٠- **طافور (ت٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م):** رحلة طافور، ترجمة وتعليق حسن حبشي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .

٣١- **العليمي (أبو اليمين، مجيد الدين الحنبلي ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م):** الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن .

٣٢- **ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م):** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، لبنان .

٣٣- **العمري (شهاب الدين بن فضل الله ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):** مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «دولة المماليك الأولى»، تحقيق: دُورُوتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

العيني (بدر الدين محمود ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م):

٣٤- عقد الجمان في تاريخ الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٥- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد «شيخ المحمودي»، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر (٩٢).

٣٦- **الغزي (نجم الدين محمد بن محمد ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م):** الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبرائيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان .

٣٧- **ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م):** تاريخ ابن الفرات، جـ٨، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، وجـ٩، تحقيق: قسطنطين زريق .

٣٨- **ابن قاضي شهبة (أبو بكر أحمد ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م):** تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م.

٣٩- **القرماني (أحمد بن يوسف القرماني ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م):** أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، لبنان .

٤٠- **القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

٤١- **ابن كثير (إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):** البداية والنهاية، دار الغد العربي، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٤٢- **المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):** أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٩م .

المقريزي (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٤٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب المصرية .

٤٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق .

٤٥- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب، بيروت، لبنان .

٤٦- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي ١٩٥٥م .

٤٧- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٤٨- **ابن نظيف (محمد بن علي أبو الفضائل ت في القرن السابع الهجري):** التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: أبو العيد دودو، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٨١م .

٤٩- **النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):** نهاية الأرب في فنون الآداب جـ٣١ تحقيق: الباز العريني، وجـ٣٢ تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، وجـ٣٣ تحقيق: مصطفى حجازي ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٥٠- **ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):** تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥١- **ياقوت (ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):** معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان.

ثالثًا: المراجع العربية:

٥٢- **أحمد الخولي:** الدولة الصفوية، مكتبة الأنجلو المصرية.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

٥٣- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية .

٥٤- العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٥م .

٥٥- **صالح محمد العابد:** العراق بين الاحتلال المغولي والصفوي، دراسة ضمن كتاب «العراق في التاريخ» بغداد ١٩٨٣م .

٥٦- **عبد المنعم ماجد:** نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧م .

٥٧- **عطية أحمد القوصي:** تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م .

٥٨- **محمد رمزي:** القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م .

رابعًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

59- Dopp . P. H, L' Egypte Au Commencement du Quinzieme Siecle. le Caire 1950 .

60- Lane - Poole: A Hoistory of Egypt in the Middle Ages. London 1901.

***